البلاد

مجلة البلاد الإلكترونية

تصدر أسبوعياً عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان

العدد 521 التاريخ: 06-12-2025

صدى البلاد .. على مدى البلاد

تجمع العلماء المسلمين:

"نستشرف خطراً كبيراً من أن خطة الولايات المتحدة الأمريكية هي الذهاب إلى أسوأ من اتفاق السابع عشر من أيار السيء الذكر، والذي تسبب في انتفاضة أدت لإسقاطه"

تقرأون في العدد أيضاً:

دخول لبنان في مفاوضات غير مباشرة خطوة قد تقود إلى التطبيع!!

بوتين في الهند.. تطوير العلاقات الاقتصادية والدفاعية

هل جاءت زيارة البابا لاوون الرابع عشر لإنهاء الحرب الإسرائيلية على لبنان؟

البلاد

مجلة البلاد الإلكترونية

تصدر أسبوعياً عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان

سياسية - ثقافية - دينية - إجتماعية

المدير العام
الشيخ محمد عمرو

رئيس التحرير
غسان عبد الله

الإخراج الفني
الشيخ محمد اللبابيدي

التصميم والإعداد
الفريق الفني في تجمع
العلماء المسلمين في لبنان

لبنان - بيروت - حارة حريك
مبنى تجمع العلماء المسلمين

0096170917873

info@albylad.com

www.albylad.com

دخول لبنان في مفاوضات غير مباشرة

خطوة قد تقود إلى التطبيع!!

بقلم: محمد الضيقة

"قرار رئيس الجمهورية جوزاف عون قبل أيام أحدث توتراً وإرباكاً في الشارع ولدى المقاومة وحلفائها، ومصدر هذا القلق أنه لم تتوضح بعد آلية التفاوض في لجنة الميكانيزم بحضور المندوب المدني اللبناني إلى جانب المندوب الإسرائيلي، كما لم تتوضح طبيعة وشكل المفاوضات هل ستتم داخل اللجنة الخماسية أو عبر قناة تفاوض أخرى."

أوساط سياسية متابعة أشارت إلى أن البيان الذي صدر عن رئاسة الجمهورية أوضح أن قرار المشاركة اتخذ بالتفاهم والتوافق مع رئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس مجلس الوزراء نواف سلام، وهذا يعني كما تقول الأوساط هو مجرد تزويد لجنة المفاوضات بعضو مدني، ويبدو أن طريقة التفاوض ستبقى كما هي أي مفاوضات غير مباشرة كما حصل خلال المفاوضات التي جرت بشأن ترسيم الحدود البحرية.

والسؤال هنا - تقول الأوساط - هل أن موافقة إدارة ترامب وبالتالي نتنياهو على هذه الصيغة بعد أن تم رفضها يؤشر إلى أن هناك مشروعاً صهيو/أمريكي يهدف من خلال سياسة الخطوة - خطوة إيصال لبنان إلى مرحلة التطبيع.

وتضيف أنه وبغضّ النظر عن الأهداف الإسرائيلية وعن الآمال اللبنانية فإن هناك صعوبة كبيرة في أن ينصاع لبنان لرغبات واشنطن في ظلّ وجود حزب الله وحلفائه، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن انخراط لبنان بهذه المفاوضات لن يحقق للسلطة أياً من أهدافها، أي أن العدو الصهيوني لن ينسحب من الأراضي التي احتلها، ولن يتوقف عن عملياته العدوانية التي تشمل الجنوب والبقاع والضاحية.

ودعت الأوساط أنصار المقاومة إلى عدم الانفعال من قرار الرئيس جوزاف عون، لأن المشهد السائد منذ عام سيبقى على حاله، لافتة في هذا السياق إلى أحد نتائج قرار المشاركة بعضو مدني أنه لم يتم التطرق في الاجتماع الأخير للميكانيزم إلى أي دعوة

لتفتيش الممتلكات الخاصة للمدنيين، كما أن الاجتماع لم يشهد مواقف تهويلية وتهديدات من أورتاغوس، كما حاولت أطراف سياسية لبنانية، خصوصاً القوات اللبنانية وحلفاؤها الترويج له خلال أسابيع، حيث أكدوا على أن إسرائيل ستصعّد من عدوانها بعد زيارة البابا، وهذا الأمر لم يحدث ولن يحدث لأن الكيان الصهيوني عاجز عن خوض حرب مفتوحة ضد المقاومة لاعتبارات كثيرة أبرزها حسب هذه الأوساط أنه ما دامت المقاومة محتفظة بسلاحها، فإن العدو لن يجرؤ على شن حرب واسعة، لأن أي حرب ستؤدي حتماً إلى إعادة تهجير آلاف المستوطنين من الجليل، وهو أمر يخشاه العدو، خصوصاً أنه بذل جهوداً كبيرة من أجل إقناعهم بالعودة إلى شمال فلسطين.

تؤكد الأوساط أن العدو يخشى كلفة أي مواجهة، كذلك ترى واشنطن أن أي حرب لا تخدم مصلحتها في لبنان، بل على العكس تخشى إدارة ترامب أن تخسر كل نفوذها الذي تعاظم إلى حدوده القصوى بعد الحرب الأخيرة.

وأكدت الأوساط أن قرار رئيس الجمهورية ومشاركة مدنيين في مفاوضات غير مباشرة لن توقف الاعتداءات الإسرائيلية، كما أن كافة المبادرات الدبلوماسية الدولية والإقليمية ستبقى دون أفق لأن قادة العدو وفي ظل هذا الانهيار العربي الشامل يرون من أن حلمهم بإسرائيل الكبرى قابل للتحقق.

هل جاءت زيارة البابا لاوون الرابع عشر لإنهاء الحرب الإسرائيلية على لبنان؟

بقلم: زينب عدنان زراقط

"في بلد يعيش على وقع الانهيار الشامل وتحت ظلال مواجهة عسكرية تتسع يوماً بعد يوم على الحدود الجنوبية، جاءت زيارة البابا لاوون الرابع عشر إلى لبنان كحدث حُمِّل أكثر مما يحتمل."

فقد انتظرها اللبنانيون باعتبارها مناسبة قد تكسر جدار الصّمت الدولي حيال ما يتعرض له الجنوب من قصف وتهجير وتدمير ممنهج، علّها تُحدث خرقاً في جدار الأزمة أو تُطلق على الأقل صرخة إنسانية توقف نزيف القرى الحدودية. غير أنّ ما أتى لم يكن على مقاس التوقعات. فالزيارة بدت أقرب إلى مرور بروتوكولي فوق ساحة مشتعلة، محاطة بصمت فاتيكاني محيّر، وغياب غير معتاد للبطريرك الراعي، ما جعلها تشبه مشهداً ناقصاً، يطرح من الأسئلة أكثر مما يقدم من تطمينات أو مواقف.

وعلى عكس البابا فرنسيس - سلف البابا لاوون الرابع عشر - الذي زار العراق عام 2021 وتحدث بصراحة عن معاناة المدنيين في غزة مراراً، بدا الخطاب البابوي الجديد أكثر تحفظاً، وأكثر ميلاً إلى العموميات الأخلاقية منه إلى المواقف الواضحة. هذا التفاوت بين نهجَي الباباوين لم يكن تفصيلاً، بل شكّل أحد عناصر الالتباس التي رافقت الزيارة التي كان يُفترض أن تشكل نقطة تحول في لحظة خطيرة يمر بها لبنان.

هذا الانكفاء فتح الباب أمام تأويلات كثيرة: هل كان هناك تحفظ على شكل الزيارة؟ أم خلاف في المقاربة بين بكركي والفاتيكان؟ أم أنّ اللحظة السياسية المعقدة دفعت الجميع إلى الاكتفاء بالمشهد البروتوكولي دون الدخول في عمق الأزمة؟ كل ذلك جعل الزيارة، التي راهن عليها اللبنانيون لفتح نافذة أمل، تتحول إلى مشهد رمزي ناقص، غير قادر على مواساة شعب يقف على حافة حرب شاملة.

زيارة فوق الجراح... والتجاهل الذي كبُر أكثر من الحدث

لم يكن استبعاد الجنوب اللبناني من جدول الزيارة حدثاً عابراً. ففي منطقة تحترق تحت القصف الإسرائيلي المتواصل منذ أشهر، اعتبر السكان أن تجاهل واقعهم يشبه طعنة رمزية، خصوصاً أن التاريخ القريب يقدّم نماذج مناقضة تماماً. فحين زار البابا فرنسيس العراق عام 2021، لم يتردد في الذهاب إلى مناطق كانت حتى وقت قريب تحت سيطرة تنظيم "داعش"، متحمّلاً المخاطر لإيصال رسالة مفادها أن الكنيسة تقف إلى جانب المظلومين والمضطهدين، مهما كانت الظروف. كذلك، لم يتوانَ البابا فرنسيس لاحقاً عن مخاطبة العالم بشأن معاناة المدنيين خلال حرب غزة، داعياً علناً لوقف النار.

أمّا في لبنان، فقد بدا البابا لاوون الرابع عشر وكأنه اختار مسافة آمنة من الجنوب، مكتفياً بزيارات إلى بيروت وبعض المناطق الهادئة نسبياً، ما جعل الزيارة تنأى عن خط الجرح المفتوح. غابت أي دعوة مباشرة لوقف القصف، وغابت الإدانة الصريحة للاعتداءات، بل غابت حتى الإشارة إلى حجم الكارثة الإنسانية في الجنوب. وبهذا، تحوّل الغياب إلى موقف بذاته، ليس لأن البابا تجاهل الوضع وحسب، بل لأن اللبنانيين المعتادين على مواقف فاتيكانية أكثر وضوحاً وجدوا أنفسهم أمام نهج جديد لا يشبه ما عرفوه في المحطات السابقة.

ولم يتوقف الالتباس عند هذا الحد، فغياب البطريرك الراعي عن الواجهة خلال الزيارة أضفى على المشهد مزيداً من الغموض. فالراعي، المعروف بحضوره في الأزمات الوطنية الكبرى، بدا هذه المرة متوارياً عن الساحة الإعلامية والسياسية، ما أثار تساؤلات حول احتمال وجود تباين في المقاربة بين بكركي والفاتيكان، أو تحفظ على شكل الزيارة وبرنامجها، أو ربما حسابات دقيقة فرضت على الطرفين تجنب أي خطوة يمكن أن تثير حساسية سياسية. هكذا، تحوّلت الزيارة إلى حدث رمزي غير مكتمل، عاجز عن منح اللبنانيين ما كانوا يأملونه من تضامن وموقف إنساني مُحقٍّ واضح.

رسالة الجنوب... وصمت الفاتيكان وبكركي في لحظة لا تحتمل الصمت

مع تزايد وتيرة الهجمات الإسرائيلية واتساع دائرة النزوح من القرى الجنوبية، قرر حزب الله إرسال رسالة إلى الفاتيكان عبر شخصيات دينية واجتماعية، حملت روايات مباشرة عن حجم المأساة: أمهات فقدن أبناءهن، بيوت تهدمت فوق ساكنيها، بلدات هجّرها القصف

بلا رجعة قريبة، وقرى تحوّلت إلى أطلال. كانت الرسالة بمثابة "توثيق للألم" أكثر من كونها خطاباً سياسياً، تهدف إلى دفع الكرسي الرسولي لاتخاذ خطوة عملية واضحة، ولو في الحد الأدنى.

لكن الرد البابوي اقتصر على جملة مقتضبة اقتصرت على: "لا تعليق"، لم تكن العبارة مجرد تحفظ دبلوماسي؛ فقد تلقاها اللبنانيون كنوع من الانسحاب المعنوي من القضية، أو كنوع من الحذر الزائد الذي بدوره بدا منفصلاً عن الواقع. فالفاتيكان سبق له، مع البابا فرنسيس، أن عبّر صراحة عن المظالم في الحرب على غزة، مستعملاً لغة إنسانية واضحة. أما اختيار الصمت هذه المرة، فبدت له دلالات أكثر عمقاً، وكأنه محاولة للهروب من التعقيد اللبناني أو من التوازنات الإقليمية التي يختبئ وراءها بعض الفاعلين الدوليين.

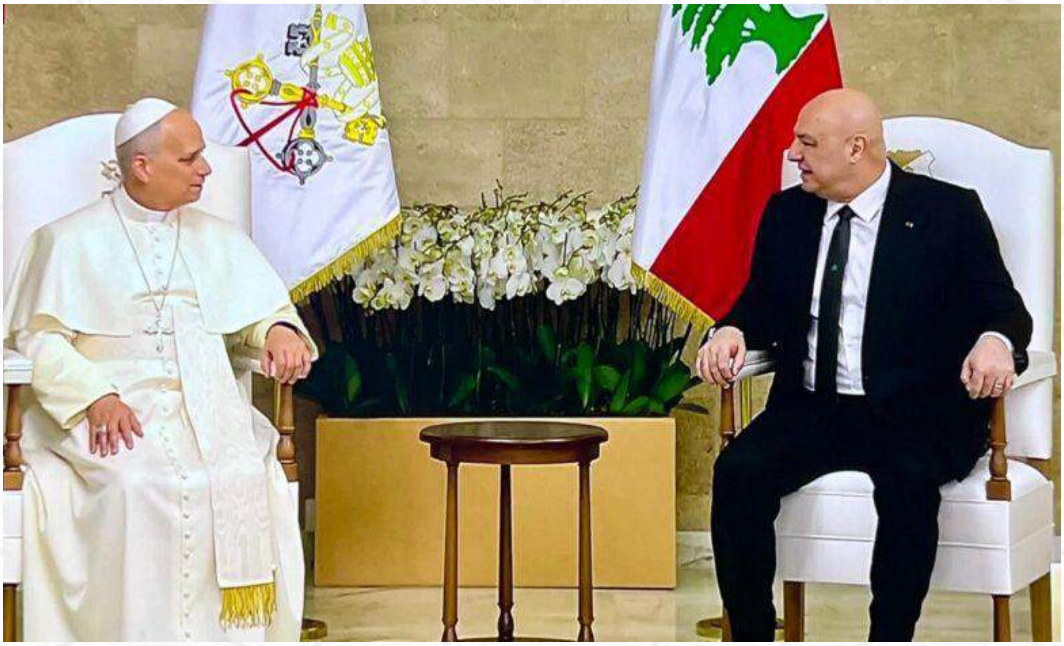

وزاد المشهد تعقيداً أن صمت بكركي ترافق مع صمت الفاتيكان، فبدا اللبنانيون أمام حالة نادرة: المرجعيتان الروحية العليا - المحلية والعالمية - تتجنبان التعليق في لحظة اشتعال. وهذا الصمت المزدوج بدا كأنه يعكس فجوة بين الخطاب الديني الرسمي وبين الشارع اللبناني الذي يعيش تحت الخطر. وقد تحولت هذه الفجوة إلى مادة سجاليه واسعة في الإعلام، حيث تساءل كثيرون: هل الكنيسة فقدت صوتها السياسي؟ أم أنها اختارت الحياد في لحظة لا يحتمل فيها الواقع أي حياد؟ أم أن المواقف تُطبخ خلف الكواليس وفق سياقات دولية لا يعرف عنها اللبنانيون شيئاً بعد؟.

مهما كانت الأسباب، فإن النتيجة الواضحة أن الجنوب لم يجد صدى لألمه، وأن الزيارة لم تنجح في لعب دور الجسر بين معاناة الناس وموقف المرجعيات الدينية.

زيارة بلا خطة... والسلم المعلّق بين الرمزية والواقع

على الرغم من أهميتها الرمزية، لم تحمل الزيارة ما يمكن اعتباره خطة أو مبادرة واقعية قد تخفف من حدة التوتر أو توقف الانحدار نحو حرب شاملة. فقد جاءت الخطابات العامة مليئة بالدعوات إلى الوحدة والسلام، لكنها بقيت في إطار المجازات الأخلاقية التي لا تمس جوهر الأزمة اللبنانية. غابت أي آلية واضحة لوقف إطلاق النار، ولم تصدر دعوة محددة لحماية المدنيين أو توفير ممرات إنسانية للنازحين، أو حتى تحرّك دبلوماسي دولي للجم التصعيد على الجبهة الجنوبية.

وبينما كان اللبنانيون يأملون أن يحمل البابا مبادرة على غرار تلك التي أطلقها البابا فرنسيس في مناسبات سابقة، جاءت النتائج دون المستوى. فالزيارة ركزت على مواقع رسمية ومناطق ذات غالبية مسيحية، ما دفع البعض إلى اعتبارها زيارة طائفية أكثر منها زيارة وطنية شاملة. وتحوّل الحدث إلى فعل معنوي محصور ببيانات تضامن، بلا مبادرات عملية ولا التزامات دولية يمكن البناء عليها.

وفي هذا السياق، بدا واضحاً أن أي زيارة رمزية - مهما بلغت أهميتها - لن تكون قادرة وحدها على معالجة جذور الأزمة اللبنانية المعقدة: الصراع الإقليمي الذي يحكم جبهة الجنوب، غياب الدولة القادرة، الانقسام الداخلي الحاد، النفوذ الخارجي المتشابك، والبنية الطائفية التي تجعل من أي مبادرة سياسية مسألة شديدة الحساسية.

وبذلك، بقيت زيارة البابا لاوون الرابع عشر معلّقة بين خطاب روحي جميل وواقع عسكري قاسٍ، بين دعوة للسلام وتجدد للقصف، بين حضور معنوي وشعور شعبي بأن العالم يتفرج على بلد يتهاوى تحت ثقل الصراع.

في نهاية المطاف، لم تكن زيارة البابا حدثاً عادياً، لكنها أيضاً لم ترتقِ إلى مستوى اللحظة التاريخية التي يمر بها لبنان. فقد حملت معها أملاً قصيراً وخيبة طويلة، إذ لم تأتِ بدعوة واضحة لوقف النار، ولا بموقف حاسم ضد الاعتداءات، ولا حتى بلفتة تضامنية مع الجنوب الذي يعيش على حدود الموت. ومع غياب البطريرك الراعي وصمت الفاتيكان، بدا

المشهد الديني - السياسي كأنه ينسحب من دوره التقليدي الذي لطالما شكّل جزءاً من هوية لبنان في الأزمات.

هكذا انتهت الزيارة، لا بصدى روحي عميق ولا بإعلان سياسي مؤثر، فكيف يُرجى سلام من عالمٍ يخشى أن يسمّي الظالم ظالماً والمعتدي معتدياً، وماذا لو استمر هذا العالم نفسه في إدارة ظهره للجنوب؟ ألن يُدفع لبنان حينها إلى مواجهة حربٍ مفتوحة لا تنتهي، فقط لأن أحداً لم يمتلك شجاعة المطالبة بإيقافها؟.

عن ندوة الجزائر حول السلم والأمن في إفريقيا

بقلم: **توفيق المديني**

"انعقدت في الجزائر يومي الإثنين والثلاثاء 1و2 ديسمبر/كانون الأول 2025، الدورة الثانية عشرة للندوة رفيعة المستوى حول السلام والأمن في أفريقيا - مسار وهران، بالمركز الدولي للمؤتمرات "عبد اللطيف رحال" في الجزائر العاصمة."

وترأس افتتاح أشغال الندوة وزير الدولة، وزير الشؤون الخارجية والجالية الوطنية بالخارج والشؤون الأفريقية، أحمد عطاف، الذي نقل تحيات رئيس الجمهورية، عبد المجيد تبون، الذي يبارك هذا المسار ويوليه بالغ العناية والرعاية ويحرص على توفير سبل ديمومته وتقويته.

وشارك في هذه الندوة وزراء خارجية العديد من الدول الإفريقية، إلى جانب مسؤولين أفارقة رفيعي المستوى، وأعضاء مجلس السلم والأمن التابع للاتحاد الأفريقي، والأعضاء الأفارقة الحاليون والمنظمون والمغادرون في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في إطار آلية (A3)، وأصدقاء الندوة وممثلي مفوضية الاتحاد الإفريقي ومنظمة الأمم المتحدة وشركاء الندوة.

الجزائر الدولة المبادرة

تتميز دورة 2025 بمشاركة مزدوجة للجزائر في هذا الحدث، بصفتها عضواً إفريقياً في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (A3) وعضواً في مجلس السلم والأمن التابع للاتحاد الإفريقي (CPS)، بالإضافة إلى صفتها كبلد مضيف ومبادر لندوة وهران.

وكانت الجزائر المبادرة في تأسيس هذه الندوة رفيعة المستوى حول السلام والأمن في إفريقيا عام 2013، وتعتبر اليوم منصةً لا غنى عنها للمناقشات والتفكير حول قضايا السلام والأمن في القارة الإفريقية وذلك في سعي جزائريٍّ دؤوبٍ لتعزيز العمل الإفريقي المشترك.

وبمناسبة مشاركته في الندوة السنوية الثانية عشرة رفيعة المستوى حول السلام والأمن في إفريقيا، المنعقدة حالياً في الجزائر، ألقى السيد محمد علي النفطي، وزير الشؤون الخارجية والهجرة والتونسيين بالخارج، كلمة أكد فيها بالخصوص على النقاط التالية:

أولاً: إنَّ الصراعات، إلى جانب المعاناة الإنسانية الهائلة التي تسببها، تشكل عبئاً اقتصادياً واجتماعياً كبيراً نتيجة للنزوح، وتفكك النشاط التجاري، وعدم استقرار بيئة الأعمال، وتدمير البنية التحتية. وقد سجلت الدول الأكثر تضرراً من النزاعات انخفاضا في الناتج المحلي الإجمالي وصل إلى 30% خلال سنة واحدة.

ثانياً: تقع اليوم على عاتقنا مسؤولية بناء أمن إفريقي قائم على التعاون والتضامن والسيادة المشتركة، وهو ما يستوجب تنسيقاً أوثق بين الدول، وتعزيز الدبلوماسية الوقائية، وتدعيم التعاون العسكري والأمني، وتبادل المعلومات الاستخباراتية، وتوحيد الاستراتيجيات الوطنية لمكافحة الجريمة والإرهاب.

ثالثاً: لا يمكن ضمان أمن مستدام في إفريقيا إلا من خلال دعم مؤسساتنا، وتحديث قوات الدفاع والأمن، والاستثمار في التعليم، والرقمنة، والاقتصاد الأخضر. كما أن مكافحة التطرف العنيف تمرّ عبر محاربة الفقر، والتهميش، والتلاعب بالفئات السكانية الهشة.

التزام تونس بقيم التعددية في الإطار الأممي والإفريقي

شارك وزير الشؤون الخارجية والهجرة والتونسيين بالخارج، محمد علي النفطي، في ندوة الجزائر، وألقى كلمة أكَّد فيها أنَّ الأزمات المناخية، والتصحر، وندرة الموارد المائية، وحركات النزوح القسري أصبحت اليوم من التحدِّياتِ الكبرى للأمن، إذْ تُغَذِّي النزاعات المحلية وتزيد من حدة التوترات بين المجتمعات. لذلك يجب أن تُدمج الدبلوماسية المناخية في صميم استراتيجياتنا لترسيخ السلام.

كما بيّن الوزير التونسي، أنَّ الدول الأكثر تضرراً من النزاعات سجلت انخفاضاً بلغ 30% خلال سنة واحدة في الناتج المحلي الإجمالي، وأشار أنَّ تونس مثّلت إفريقيا وتحدثت باسمها في مجلس الأمن في أربع مناسبات، وقد كرّست ولاياتها كعضو غير دائم للدفاع عن القضايا الإفريقية وللعمل من أجل أن يكون مفهوم السلم والأمن شاملاً وموسعاً عندما

يتناول المجلس الأوضاع الإفريقية، بحيث يشمل أبعاد التنمية وأسباب الهشاشة وعوامل العنف والصراع.

وفي ختام مداخلته، أوضح الوزير أن تونس، التي تلتزم تماماً بقيم التعددية في الإطارين الأممي والإفريقي، وبمبادئ التضامن والتعاون، كانت دائما حريصة على تقديم دعمها للجهود الإفريقية والدولية الرامية إلى إرساء السلام، وتعزيز الأمن، وترسيخ الاستقرار، خاصة في إفريقيا، وذلك عبر مشاركتها الفاعلة في مختلف عمليات حفظ السلام تحت راية الأمم المتحدة أو الاتحاد الإفريقي.

إفريقيا وكيفية التعامل مع جرائم الاستعمار

في هذا السياق، أكَّدتْ كاتبة الدولة لدى وزير الشؤون الخارجية، المكلفة بالشؤون الإفريقية، السيدة سلمة بختة منصوري، في كلمتها خلال اختتام أشغال المؤتمر الدولي حول جرائم الاستعمار في إفريقيا، الذي احتضنه المركز الدولي للمؤتمرات "عبد اللطيف رحال" بالجزائر العاصمة، أنَّ "جرائم الاستعمار ليست مسألة تعود إلى الماضي، بل منظومة آثار حية مازالت تشكل مسارات النمو وأدوات السلطة وموازين القوى في القارة"، موضحةً أن "التعامل معها لا يمكن أن يبقى في حدود الإدانة فقط، بل يجب أن يتحول إلى مشروع سياسي وقانوني واقتصادي متكامل، يضع إفريقيا في موضع المبادرة لا موضع رد الفعل.

وأشارت السيدة منصوري إلى أنَّ إفريقيا تمتلك اليوم وعيا جديدا يمكنها من تحويل الذاكرة إلى أداة استراتيجية تستخدم لبناء الشرعية الدولية، مبرزةً في ذات الوقت أنَّ مؤتمر الجزائر أعلن بوضوح أن "إفريقيا لن تسمح اليوم بإعادة صياغة تاريخها خارج مؤسساتها ولن تقبل بأن تبقى الذاكرة أداة في يد غيرها".

لاَ تَزَالُ صَفْحَةُ الماضي المُتَمَثِّلَةِ بِالْحِقْبَةِ الاستعمارية الأوروبية، وحروبُ التَّحْرِيرِ الْوَطَنِيِّ الإفريقية، تُلْقِيْ بِإِرْثِهَا وَحُمُولَتِهَا التَّارِيخِيَّةِ الثَّقِيلَةِ علىَ مُسْتَقْبَلِ الْعَلاَّقَاتِ الإفريقية-الأوروبية. في هذا الماضِي الاستعماري تَحْتَلُ الْجَزَائِر مكانةً خاصةً، بسببِ المآسِي التاريخيةِ التي حلَّتْ بالشَعْبِ الْجَزَائِرِي. وَيُعَلِّمُنَا التَّاريخُ أَيْضاً، وَبِالْدَّرَجَةِ الأُولَى، أَنَّ النِّظَامَ الاستعماري المُتَنَاقِضِ جِذْرِيّاً مَعَ المبادئ وَالْقَيِّمِ الَّتِي نَادَتْ بِهَا الثَّوْرَةُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ ذات الطابع الغربي، قَدْ أَدَّى إِلَى اِرْتِكَابِ مَجَازِرِ بمئاتِ آلاَفِ الأفارقة ، وَاِقْتَلَعَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ،

وَشَرَّدَهُمْ، إِذِ اِسْتَعَدْنَا التَّعْبِيرَ الدَّقِيقَ الَّذِي اِسْتَخْدَمَهُ الْبَاحِثُ الْفَرَنْسِيُّ جُرْمَان تِيلِيُون، فِي تَوْصِيفِهِ لِتِلْكَ المَأْسَاةِ التَّارِيخِيَّةِ.

ومع حصول العديدِ من بلدانِ العالمِ الثالثِ على استقلالها، وانتهاجها خيار التنمية في إطار العولمة الرأسمالية، تعمقتْ الهوة بين الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة في الغرب ودول العالم الثالث، التي ظلتْ دولاً تابعةً للغرب، وغائصةً في وحلِ الفقرِ والركودِ الاقتصاديِّ، على الرغم من امتلاك بعضها لثرواتٍ طبيعيةٍ هائلةٍ، وبقيت الشعوب تكدُّ من أجل العيش وتترقَّب تحقيق الفوائد الموعودة للتنمية الرأسمالية والتجارة العالمية، فتبلور نقاشٌ فكريٌّ في أمريكا اللاتينية، وبرز جيلٌ من المفكرين والأكاديميين والاقتصاديين قادرين على مجادلة نظرائه من الدول الرأسمالية المتقدمة.

ففي الأمس كانت الشركات الأوروبية تشتري الرقيق المحلي بسلع نافلة ومدمرة مثل الزجاجيات والكحول والسلاح. فتعطيها النخب لقاء صيد الرقيق. والمقايضة الحالية خير من مقايضة الأمس. فالرقيق يسلّم نفسه طوعاً على صورة هجرة المدن. ومن يرغب في فهم نظام تجارة الرقيق عليه ملاحظة النخب الإفريقية اليوم: لماذا النظام الصحي والنظام المدرسي الإفريقيان على حالهما من التردي والتآكل؟ الجواب هو أنَّ النخب لا تستشفي ولا تتعلم في المستشفيات والمدارس المحلية أو الوطنية. وهي تؤثر السفر إلى بلدان الشمال والاقامة بها. فهي تخرب الأرياف، وتكره السكان على الرحيل. ولا ريب في أنَّ الشركات المتعددة الجنسيات تنتفع من هذا النظام، ولكنَّ النظام هذا يستحيل أن يعمل من غير وساطة النخب الوطنية. وفي الأثناء حلَّتْ سيارات الدفع الرباعي والكلاشينكوف محل الكحول والبنادق.

وغداة الاستقلال، حسب الإفريقيون أنَّ سلطات الدولة القوية، على مثال الدولة الاستعمارية وسلطتها، وقيادة الحزب الواحد كفيلان بالاضطلاع بالإنماء والتقدم الاقتصاديين والاجتماعيين. وضربُوا موعداً للحاق بأوروبا في عام 2000. ولكنَّ تصنيم الدولة لم يجدِ شيئاً. فالكتل التي استولت على الدولة توسلتها إلى مراكمةِ الثراء وكبْتِ المبادرة الخاصة. وانهار النظام منذ نهاية السبعينيات المنصرمة. فندبتْ الدول المسيطرة القديمة صندوق النقل الدولي والمصرف الدولي الى تولي الدعم المالي.

وهذان أبْطَلاَ مشروعية الدول، وطعنَا فيها، وأوكلاَ إلى السوق النهوض بالتنمية. فنجمت عن السياسة هذه كوارث أشدَّ فداحةٍ من كوارث الدولةِ.

وخلخل التقشف، في تسعينيات القرن الماضي، المجتمعات الإفريقية، بعد أنْ برهنتْ على فشلِ الدولة في القيام بأعباءِ التنميةِ. واستحال على النخبِ الحاكمةِ الاستمرار على قمع دائرة العلانية العامة والمشتركة. وأدَّى إلغاء دعم السلع الزراعية إلى هجرةٍ عريضةٍ من الأرياف إلى المدن، واكتظاظ هذه المدن المتذمرين والقلقين. فاضطرتْ السلطات إلى الرضوخ لتكاثر المنظمات غير الحكومية، فتولتْ هذه النهوض بأعباء إغاثةٍ ورعايةٍ عَجِزَتْ عنها الدولة، وإلى الإغاثة والرعاية، تولت المنظمات غير الحكومية بلورة أبنية المجتمع المدني. ومرَّة أخرى، سَطَتْ النخب التي كانت تقتطع المال العام، وتصرفُهُ إلى جيوبها، على مساعدات المنظمات غير الحكومية. وهي تصرف موارد هذه إلى تمويل ندواتٍ لا جدوى منها، وشراء سيارات دفع رباعي ترمز إلى مكانة ركابها.

عودة النزعة الوطنية إلى إفريقيا

بعد عام 2020، دخلت إفريقيا في عصرٍ جديدٍ، مع حصول الانقلابات العسكرية في كل من مالي، وبوركينا فاسو، والنيجر في صيف 2023، إضافة إلى الإطاحة بالرئيس علي بونغو أونديمبا في الغابون، في انقلاب قام به معاونه الفرنسي الجنرال نغويما في عام 2023، وهي انقلابات حصلت في الدول التي تتمتع بعلاقات جيدة مع روسيا والصين، ما جعل الخبراء في الشئون الإفريقية يُؤَكِّدُون أنَّ الوقتَ حانَ لنهاية الاستعمار الجديد في القارة السمراء.

لقد دخلت إفريقيا في حرب الاستقلال الثانية ضد الاستعمار الجديد المستمر منذ ستينيات القرن العشرين، لكنَّ الإمبريالية الأمريكية والإمبريالية الفرنسية قاومتَا هذا النهج الاستقلالي، عبر القيام بالتدخلات المسلحة والانتفاضات التي خططت لها الولايات المتحدة وفرنسا في إفريقيا، والتي وصفها المحللون والخبراء بـ "الانقلابات الملونة" التي تُدَارُ عبر أجهزة الاستخبارات الغربية، وتستهدفُ إسقاط الدول الإفريقية ذات التوجه الصيني من خلال خلق الفوضى وأساليب تسمى "الثورات الملونة"، بالإضافة إلى قيامهما بتنشيط المنظمات الإرهابية المدعومة من الغرب. وهذا أمر مهم للغاية لأن أفريقيا تعاني بالفعل من الإرهاب حتى اليوم. والعذر وراء هذه الثورات المضادة الملونة هو أنَّها

في أفريقيا، كما هو الحال في مناطق أخرى، تتزامن عادة مع فترة الانتخابات البرلمانية أو الرئاسية.

كما قامت الإمبريالية الأمريكية والإمبريالية الفرنسية عبر "أساليب التدخل وتسليح الإرهابيين"، باستفزاز التنظيمات الإرهابية الانفصالية في مالي عام 2013 وقامتا بتدخل عسكري. ومن المعروف أنَّ الدول الغربية، لا سيما الولايات المتحدة وفرنسا تقومان في البداية بإشعال النار، ثم يقومون بدور رجال الإطفاء ويتدخلون عسكريا.

وفي العام 2013حشد الإمبرياليون الأمريكيون والفرنسيون منظمة سيليكا الإرهابية على أسس عرقيةٍ ودينيةٍ ضد الرئيس فرانسوا بوزيزيه في جمهورية إفريقيا الوسطى، وقادوا البلاد إلى حربٍ أهليةٍ. وفي العام عينه أيضاً، قامت الولايات المتحدة وفرنسا بتعيين مرشح المعارضة رئيساً للوزراء للإطاحة بروبرت موغابي في زيمبابوي. وفي كل هذه الأمور، قام الناس بأعمال شغب، ونزلوا إلى الشوارع وجعلوا الناس يتقاتلون مع بعضهم البعض. لقد شهدنا صوراً ترقى إلى مستوى الحرب الأهلية.ومرَّة أخرى، كما هو الحال في زيمبابوي، تم تعبئة الشوارع ضد نتائج الانتخابات الرئاسية في كينيا.وكانت الغابون شهدت أولى الثورات الملونة التي عرفت باسم "الربيع الإفريقي" في الفترة بين عامي 2014 و2016، لكنَّ تلك المحاولة في ذلك الوقت فشلتْ.

غير أنَّ هجمات العولمة الليبرالية الأمريكية المتوحشة والليبرالية الجديدة التي كانت تهدف إلى تفكيك وتدمير الدول الوطنية، اصطدمتْ بجدار وحدة الأمة والجيش، كما حدث في مالي وبوركينا فاسو، والنيجر خلال سنوات 2020و2023. ويرى المحللون والخبراء في الشئون الإفريقية أنَّ الوقت حان الآن لنهاية الاستعمار الجديد في إفريقيا، حيث لن تتمكن الولايات المتحدة ولا فرنسا من غزو إفريقيا بسهولة وتنظيم الانقلابات من الآن فصاعداً.

فالغرب خسر إفريقيا، التي نهبها من أجل ثرواته وازدهاره. وحتى لو حققت الثورات الملونة نجاحاً مؤقتاً، كما حدث في الغابون والسنغال، فإنَّ الانقلابات التي حصلت في مالي وبوركينا فاسو والنيجر، أكَّدتْ عن اتحاد الجيش مع شعبه في هذه الدول الإفريقية، وأصبح الآن هو المفتاح الرئيسي للدفاع عن استقلال بلدانهم وأوطانهم ضد الإمبريالية الغربية في إفريقيا.

خاتمة

على الرغم من تحقيق الاستقلال السياسي، فإنَّ عدداً كبيراً من الدول الإفريقية لم تستطع حتى الآن فك ارتباطها مع سادة النظام الرأسمالي العالمي، وبالتالي فهي لا تزال معتمدة على الدول الاستعمارية السابقة. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ برامج تطوير الدول الإفريقية لا تزال تمول بنسبة 65% من المصادر الخارجية، أصبح مفهوماً لدينا، المدى الكبير لاعتماد هذه الدول على الدول الإمبريالية الغربية والمؤسسات الدولية المانحة. وأنَّ الاحتكارات الرأسمالية القوية تستثمر الجزء الأكبر من أعمال التنقيب والاستخراج للثروات الطبيعية في إفريقيا، وتسيطر أيضاً على ترويجها (تسويقها) في الأسواق العالمية، وقد عمدت الدول الاستعمارية في الفترة التي أطلق عليها اسم "المرحلة الانتقالية" إلى اتخاذ عدد من الإجراءات الهادفة إلى عدم السماح بانهيار الآلة العسكرية الاستعمارية في إفريقيا، وإلى تحويلها، بحيث تتلاءم مع متطلبات وحاجات الاستعمار الجديد.

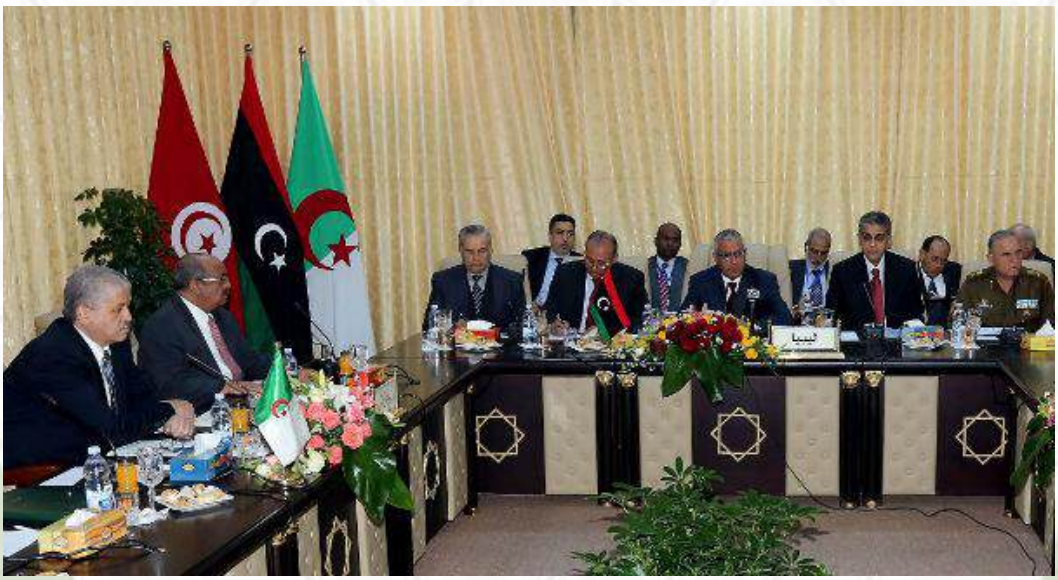

مخطط سعودي إماراتي لتثبيت واقع الانفصال جنوب وشرقي اليمن

بقلم: نوال النونو

"دخلت المحافظات اليمنية الواقعة جنوب شرقي اليمن في معترك جديد، في إطار هندسة سعودية إماراتية لخلق واقع جديد في اليمن، مغاير للعقد الماضي خلال العدوان على اليمن ومواجهة أنصار الله."

وتحرّكت خلال الأيام الماضية قوات المجلس الانتقالي - وهي فصائل عسكرية موالية للإمارات - وتدعو بشكل واضح لانفصال جنوب اليمن عن شماله، لتكمل سيطرتها على محافظة حضرموت الغنية بالنفط والمحاذية للمملكة العربية السعودية، وكذلك السيطرة على محافظة المهرة المحاذية لسلطنة عمان، وكلا المحافظتين تطلاّن على البحر العربي، وتشتهر حضرموت بأنها أكبر محافظة يمنية من حيث المساحة، وهي غنية بالنفط والمعادن، وتتيح لمن يسيطر عليها التحكم بحركة الملاحة الدولية في بحر العرب.

وخلال العشر السنوات الماضية، ظلّت حضرموت بعيدة عن سيطرة أنصار الله، وقد تعرّضت للاحتلال السعودي الإماراتي، حيث انتشرت فيها قوات وفصائل عسكرية متعددة تدين بالولاء للسعودية أو الإمارات، وفيها تقع المنطقة العسكرية الأولى ومعظم منتسبيها يتبعون حزب الإصلاح "الإخوان المسلمين" فرع اليمن، وفي حضرموت كذلك قوات ما يسمى "النخبة الحضرمية" التابعة للمجلس الانتقالي الموالي للإمارات، وقوات ما يسمى "حلف حضرموت" التابعة للشيخ القبلي عمرو بن حبريش وهو موالٍ للسعودية، وفي حضرموت توجد قوات أمريكية تتمركز في مطار الريان المطل على البحر العربي، وقوات سعودية وإماراتية، وبريطانية، كما توجد هذه القوات في محافظة المهرة وتحديداً في مطار الغيضة.

ويعدّ المستجد في هذه الأحداث هو أن الرباعية الممسكة بالملف اليمني وهي (أمريكا، وبريطانيا، والسعودية، والإمارات) تعيد هندسة أدواتها، وتدفع الانفصاليين إلى

الواجهة، لمخطط يُراد من ورائه إعلان دولة لليمن جنوبي وشرق اليمن، مقابل دولة أخرى في الشمال التي يسيطر عليها أنصار الله، وإذا ما حدثت مواجهات بين الطرفين فإنها تكون وفق الصبغة المناطقية (شمالي وجنوبي) وليس بالصبغة الطائفية (سنة وشيعة) التي فشلت خلال العشر السنوات الماضية.

مكاسب وخسارة

وإذا كان الانفصاليون هم أكبر المستفيدين من أحداث حضرموت، فإن حزب الإصلاح المدعوم من قطر وتركيا هو أكبر الخاسرين، فقد خسر عمقاً استراتيجياً له شرقي اليمن، وكان هذا العمق يساعده في الوصول إلى المحافظات الجنوبية بسهولة، بمعنى أن الحزب كان يتنقل من حضرموت إلى عدن وأبين بأريحية، لكنه اليوم بات خارج المشهد، وعاجزاً عن التنقل في المحافظات الجنوبية والجنوبية الشرقية اليمنية، وبات محاصراً في مدينة مأرب فقط، وهي المدينة المهددة بالسقوط في أيّة لحظة من قبل أنصار الله.

وبناءً على هذه التطورات باتت مساحة ما كان يسمى سابقاً بدولة اليمن الديمقراطية قبل تحقيق الوحدة 1990م تحت سيطرة المجلس الانتقالي المدعوم والممول من قبل الإمارات، في حين أصبح اليمن الشمالي تحت سيطرة أنصار الله، باستثناء مناطق صغيرة في تعز يحكمها طارق محمد صالح، وخصوصاً المخا المطلة على البحر الأحمر، ومدينة مأرب التي يسيطر عليها حزب الإصلاح وهي غنية بالنفط والغاز.

ما وراء أحداث حضرموت

لقد رسم الاحتلال السعودي الإماراتي واقعاً جديداً في المحافظات اليمنية الجنوبية والشرقية، وباتت الراية الآن بيد قوات المجلس الانتقالي الذي يرفع علم الانفصال ولا يعترف بالجمهورية اليمنية، ونحن هنا أمام تداعيات خطيرة أولاً على الوحدة اليمنية، وثانياً على اليمن الشمالي وأنصار الله، فقد يدفع الأعداء بهؤلاء بعد تنظيمهم للهجوم على المناطق الواقعة تحت سيطرة أنصار الله في الشمال اليمني، تحت شعار "تحرير صنعاء" كما يزعمون، لكن هذا الخيار يصطدم مع أهداف وشعارات المجلس الانتقالي الذي أقصى حلمه هو تحقيق الانفصال، وإبقاء الوضع كما هو عليه، بمعنى بقاء قوات أنصار الله في الشمال، وقوات الانتقالي في الجنوب.

واللافت أن هذه الأحداث انطلقت في الثلاثين من نوفمبر، وهو اليوم الذي يحتفل فيه اليمنيون بذكرى عيد الاستقلال بخروج آخر جندي بريطاني من جنوب اليمن بعد احتلال دام 128 عاماً، وبعد زيارات بريطانية مكثفة إلى عدن، ما يعني أن بريطانيا قد يكون لها دور في هندسة هذا المخطط، وهي تطمح من جديد للعودة إلى عدن التي كانت أحد مستعمراتها في المنطقة.

أما بالنسبة لأمريكا وكيان العدو الإسرائيلي والإمارات، فإن السيطرة على المحافظات الجنوبية والجنوبية الشرقية اليمنية يعطيها أفضلية في التحكم بحركة الملاحة البحرية في البحرين الأحمر والعربي، كون هذه المحافظات تطل إما على البحر الأحمر مثل عدن ولحج وأبين، أو على البحر العربي مثل حضرموت والمهرة وشبوة. وهنا لا يُستبعد إقامة قواعد عسكرية أمريكية وبريطانية وصهيونية في هذه المحافظات للتحكم بالملاحة البحرية.

ما يحدث في حضرموت لا يقتصر على الشأن اليمني فحسب، وإنما يأتي ضمن مخطط الهيمنة والتوسع لقوى الاستكبار العالمي على المناطق الحيوية والاستراتيجية في المنطقة، وهنا تأتي أطماع أعداء اليمن متنوعة ومتعددة، فهم يسعون باستمرار إلى نهب ثروات اليمن وخيراتها من نفط وغاز ومعادن تتواجد في هذه المحافظات، والتحكم بالممرات المائية، إضافة إلى تشكيل قوات وفصائل عسكرية مناطقية تتولى

مهمة مواجهة أنصار الله في الشمال، وبالتالي ضرب الوحدة اليمنية والقضاء عليها نهائياً.

لكن ما بات معروفاً للجميع أن الإمارات والسعودية ومنذ احتلالهما للمحافظات الجنوبية والجنوبية الشرقية اليمنية عام 2015م لم تعملا على إحداث التنمية في هذه المناطق، وتثبيت الأمن والاستقرار، وتحسين الوضع الاقتصادي، بل لديهما مخطط بإبقاء الوضع في هذه المحافظات المحتلة هكذا كي تضمن عدم وجود تمرد عليها، وكي تظل إدارة الحكم في هذه المناطق تحت الهيمنة والسيطرة الإماراتية السعودية. وهذا الوضع لا يرضي الكثير من اليمنيين الجنوبيين، والذين ترتفع أصواتهم عالياً من يوم إلى آخر للمطالبة بتغييره، وقد يكون شرارة لتفجير الثورة ذات يوم ضد الغزاة والمحتلين الجدد من السعوديين والإماراتيين ومن يقف وراءهم.

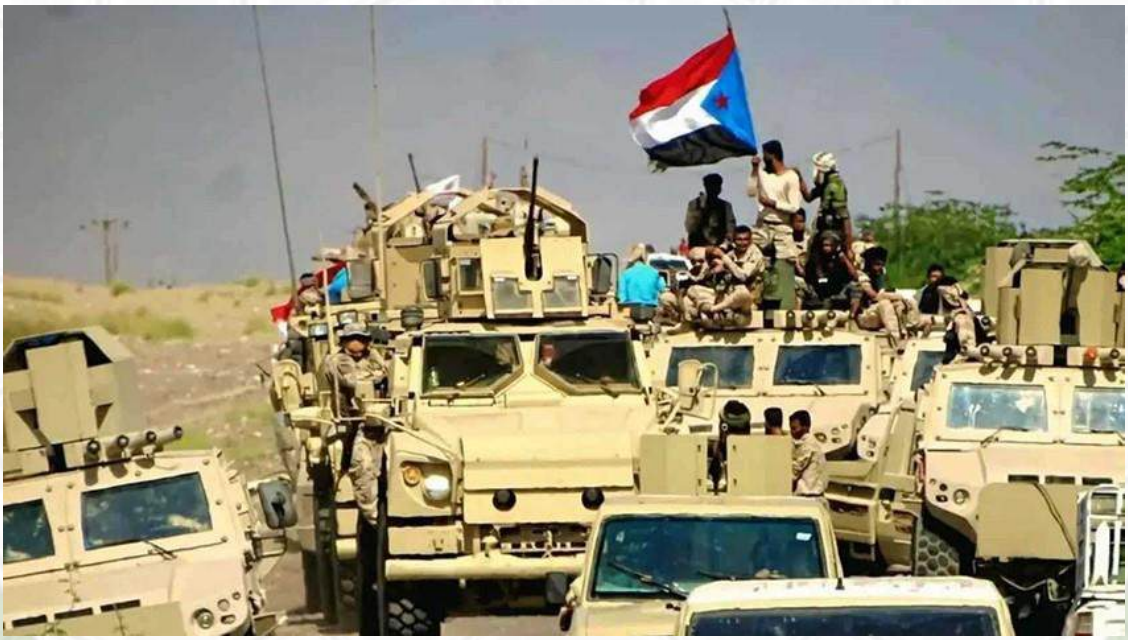

بوتين في الهند.. تطوير العلاقات الاقتصادية والدفاعية

بقلم: ابتسام الشامي

"خطفت زيارة الرئيس الروسي إلى الهند أضواء الحدث الدولي، فهي إذ تأتي في توقيت حساس بالنسبة لمصير الحرب في أوكرانيا، فإن أهميتها تكمن في الهدف المعلن وهو تعزيز الشراكة الاستراتيجية بين البلدين لاسيما الاقتصادية والأمنية."

العلاقات الوثيقة بين البلدين

في زيارة هي الأولى له منذ بدء الحرب في أوكرانيا، حل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ضيفاً على الهند، ملبياً دعوة رئيس وزرائها ناريندرا مودي لحضور القمة الهندية الروسية السنوية الـ 23، بمناسبة مرور 25 عاماً على شراكتهما الإستراتيجية. على أن السنوات الماضية من عمر الشراكة الاستراتيجية بين البلدين، تبدو مع تسارع التحولات الدولية لاسيما الهجمة التجارية الأمريكية التي طالت حلفاء أمريكا وأعداءها على حد سواء، بحاجة إلى مزيد من التطوير والتوثيق. وبلحاظ تلك التحولات وما تفرضه من تموضعات على مستوى العلاقات الدولية، تكتسب زيارة بوتين إلى أكبر مشتر لنفط بلاده أهمية استثنائية. وإلى جدول أعمالها الحافل بالتوقيع على مذكرات تفاهم واتفاقيات تعاون في مجالات مختلفة، تأخذ التطورات الإستراتيجية في منطقة المحيطين الهندي والهادي حصة مهمة من البحث، وهي تطورات من شأنها أن تنعكس على مسار التعاون بين البلدين بما في ذلك الاقتصادي منه والدفاعي، مضافاً إلى ذلك، تأثير العقوبات الأمريكية على شركات النفط الروسية في مبيعات الطاقة الروسية للهند.

أهمية الزيارة التي تأتي بعد نحو شهر ونصف من تشديد الولايات المتحدة الأمريكية عقوباتها على شركات النفط الروسية، عكسها الرئيس بوتين في حوار مع قناة "إنديا توداي"، مشيراً إلى وجود "خطة كاملة للتعاون تغطي أهم المجالات مثل التكنولوجيا المتقدمة واستكشاف الفضاء والطاقة النووية". من دون أن ينكر تأثير العقوبات الغربية في التعاون الروسي الهندي لاسيما في إجراء المدفوعات بين البلدين. وإذ أقر بوتين بوجود صعوبات على هذا الصعيد إلا أنه أكد وجود حلول أيضاً"، مضيفاً: "يمكننا الانتقال

إلى نظم المعلومات المالية الإلكترونية التابعة للمصرف المركزي الروسي والزملاء الهنود".

وينطوي حديث الرئيس الروسي عن فرص تذليل العقبات، رسالة إلى البلد المضيف بعد تراجع مشترياته من النفط الروسي، وهو ما أكده المتحدث باسم الكرملين ديميتري بيسكوف للصحافيين عشية الزيارة، مشيراً إلى أن انخفاض واردات الهند من النفط الروسي قد يستمر "فترة وجيزة" فحسب، إذ تخطط موسكو لزيادة الإمدادات إلى نيودلهي. وإذ ذكر أن روسيا لا تزال مورداً مهما للطاقة بالنسبة للهند، أكد على ضرورة وضع آليات تجارية محصنة ضد تدخلات دول ثالثة، وأضاف أن روسيا لديها خبرة في ممارسة التجارة في ظل العقوبات.

وتأتي تصريحات المسؤول الروسي تعليقاً على توقف شركات تكرير هندية، مثل مصفاة مانجالور للبتروكيماويات المحدودة وشركة هندوستان بتروليوم كورب وشركة إتش. بي. سي. إل - ميتال إنرجي المحدودة، عن شراء النفط الروسي. علماً أن شركة النفط الهندية التي تديرها الدولة قدمت طلبات لشراء النفط الروسي من كيانات غير خاضعة للعقوبات، في حين أن شركة بهارات بتروليوم كورب في مرحلة متقدمة من المفاوضات بشأن واردات النفط الروسي.

التعاون الدفاعي

والى إعادة تزخيم بيع النفط، وتذليل العقبات أمامه، يتصدر البعد الأمني من حيث الأهمية زيارة الرئيس الروسي إلى الهند. وفي مؤشر يعكس هذه الأهمية، أكد وزير الدفاع الهندي راجناث سينغ خلال لقائه نظيره الروسي أندريه بيلاوسوف أن الزيارة من شأنها تعزيز الشراكة الروسية الهندية. وخلال اجتماع اللجنة الحكومية الدولية الثنائية للتعاون العسكري والعسكري الفني، أعرب سينغ للشركاء الروس عن الشكر لزيارتهم الهند، "لمناقشة وتطوير التعاون الثنائي في مجال الدفاع". وقال "روسيا هي شريك هندي مختبر بالزمن، ومتميز بشكل خاص واستراتيجي، وقد توسع تعاوننا الثنائي في مجال الدفاع بشكل كبير منذ توقيع إعلان الشراكة الاستراتيجية الهندية الروسية في عام 2000. من المطمئن أنه على الرغم من عدم اليقين الجيوسياسي، فإن تعاوننا الهندي

الروسي في مجال الدفاع يتطور بوتيرة صحية، كما أن التبادلات الموجهة نحو النتائج بين أفراد القوات المسلحة والخبراء في جيشينا تحافظ على زخم شراكتنا الدفاعية".

وفي سياق متصل توقفت صحيفة "إنديا توداي" الهندية عند الزيارة التي يصطحب فيها بوتين وفدا روسيا رفيع المستوى يضم وزراء الدفاع والمالية والزراعة والتنمية الاقتصادية والصحة والداخلية والنقل. مشيرة إلى أن التعاون الدفاعي بين البلدين، بما في ذلك تكنولوجيا الطائرات المقاتلة، والتعاون في مجال الطاقة النووية، يحتل مكانة مهمة على جدول أعمال الزيارة، مرجحة أن "تركز مناقشات الدفاع على مشاريع الطائرات الأسرع من الصوت، كذلك الصواريخ بعيدة المدى، ووحدات "إس -400" الإضافية. وأوضحت أن قمة بوتين ومودي ستستعرض التقدم المحرز في مجالات الأمن والتكنولوجيا والنقل والتعليم والتعاون الثقافي. أما في ما يخص المحادثات الاقتصادية، فمن المقرر أن تتناول اختلال التوازن التجاري، وترسم خريطة طريق للتعاون الثنائي حتى عام 2030، ورجحت توقيع نيودلهي وموسكو اتفاقيات تشمل التجارة والصحة والزراعة والإعلام والتبادل الثقافي.

خاتمة

في توقيتها السياسي وكذلك في مضمونها، تكتسب زيارة الرئيس الروسي إلى الهند أهمية خاصة. وإذا كانت العقوبات الأمريكية الجديدة على شركات النفط الروسية قد أثرت في التبادلات التجارية بين البلدين، فإن السؤال المطروح حول قدرة الزائر على إعادة تزخيمها وتذليل العقبات أمام تطويرها.

إسرائيل والحرب في السودان..

المصالح الاستراتيجية والتداعيات الإقليمية

ترجمة وإعداد: حسن سليمان

ملخص: خلّفت الحرب الأهلية في السودان أسوأ أزمة إنسانية في العالم، وتهدد بزعزعة استقرار منطقة البحر الأحمر بأكملها. بالنسبة لإسرائيل، للتطورات في السودان تداعيات استراتيجية واضحة: فالأمن البحري، ومكافحة الإرهاب، والتطبيع الإقليمي، كلها أمور تعتمد على مستقبل السودان.

لقد أصبح الصراع ساحةً للتغلغل الإيراني والروسي والصيني، وهو تحدٍّ يتطلب من إسرائيل وشركائها الغربيين العمل معاً. من خلال التنسيق الاستخباراتي، وضمان الأمن في البحر الأحمر، وتقديم المساعدات الإنسانية، والتحضير للتطبيع بعد الحرب، تستطيع إسرائيل حماية مصالحها الحيوية، وتعزيز عضويتها في المعسكر الغربي، والمساهمة في تشكيل نظام إقليمي أكثر استقراراً.

مقدمة

يقع السودان حالياً في قلب أسوأ كارثة إنسانية في العالم، وهو انهيار له تداعيات مباشرة على أمن إسرائيل. فقد نزح أكثر من 12 مليون شخص، ويحتاج 30 مليوناً إلى مساعدة فورية، وتنتشر المجاعة والأوبئة بشكل خارج عن السيطرة. لم تعد هذه حرباً أهلية محلية، بل زلزال إقليمي يُعيد تشكيل منطقة القرن الأفريقي وحوض البحر الأحمر والبيئة الاستراتيجية لإسرائيل.

بينما ينصب الاهتمام الدولي على الحروب في أوكرانيا وغزة، فإن انهيار السودان قد يحوّل طريق البحر الأحمر إلى أرض خصبة للإرهاب وتهريب الأسلحة والتنافس بين القوى العظمى. بالنسبة لإسرائيل، فإن التداعيات بالغة الأهمية: فالأمن البحري، ومكافحة الإرهاب، ومستقبل التطبيع مع العالمين العربي والأفريقي، كلها أمور تعتمد على التطورات هناك.

من صراعات السلطة إلى انهيار الدولة والأزمة الإنسانية

اندلعت الحرب في نيسان 2023 بعد أشهر من التوترات بين الجيش السوداني بقيادة الفريق عبد الفتاح البرهان، وقوات الدعم السريع بقيادة الفريق محمد حمدان دقلو (حميدتي). أصبح الطرفان، اللذان تعاونا في الإطاحة بنظام عمر البشير، خصمين في صراع على السيطرة والموارد والتحالفات الخارجية، وكانت النتيجة مدمرة. دُمرت الخرطوم وأم درمان في معارك شوارع، وعانت دارفور من فظائع عرقية تُذكرنا بأوائل الألفية الثانية، وانهار النظام الصحي، وانتشرت المجاعة، وفرّ الملايين إلى تشاد وجنوب السودان وإثيوبيا. تفككت البلاد، تاركةً مناطق شاسعة بلا حكومة، مُشكّلةً أرضاً خصبة للجهاديين وشبكات التهريب والتدخل الأجنبي.

يُعدّ موقع السودان الجغرافي مصدر قلق بالغ. فهو يربط منطقة الساحل بالقرن الأفريقي، وله ساحل طويل على البحر الأحمر، شريان حيوي للتجارة العالمية، ومنفذ لإسرائيل إلى المحيط الهندي. يؤثر عدم الاستقرار هناك على ممرات الشحن، ويقوّض الحكومات الإقليمية، ويهدد توازن القوى في الشرق الأوسط بأكمله.

القوى الأجنبية وصراع النفوذ

أصبح السودان ساحة معركة بين قوى إقليمية وعالمية متنافسة، كل منها تنحاز إلى جانب في الصراع الداخلي. تدعم مصر القوات المسلحة السودانية بقيادة البرهان للحفاظ على السيطرة على نهر النيل ومنع تدهور الأوضاع الإقليمية. الإمارات العربية المتحدة هي الداعم الرئيسي لقوات الدعم السريع التابعة لحميدتي، سواء من حيث الروابط السياسية أو المصالح الاقتصادية أو الوصول إلى الذهب. أما المملكة العربية السعودية، التي يُعدّ البحر الأحمر محورياً لأمنها، فتسعى جاهدةً للحفاظ على التوازن، لكنها تُضفي شرعيةً متزايدةً على قوات الدعم السريع كشريكٍ محتملٍ في حماية الممرات الملاحية.

تتعاون مجموعة فاغنر الروسية مع قوات الدعم السريع مقابل الوصول إلى مناجم الذهب والقدرة على العمل على طول ساحل البحر الأحمر. تسعى إيران إلى استعادة موطئ قدمٍ لها من خلال دعم عناصر مختلفة وتهريب الأسلحة إلى فروعها خارج البلاد. من ناحيةٍ أخرى، تتجنب الصين التدخل المباشر، لكنها تعمل على الحفاظ

على نفوذها الاقتصادي في إطار مبادرة "الحزام والطريق"، مع التركيز على تطوير البنية التحتية والموانئ.

يُظهر هذا التنوع في التدخل الخارجي تعقيد الوضع وعودة التنافس بين القوى على القارة الأفريقية. الشركاء العرب للعناصر المتشددة لا ينقسمون بين شركاء إسرائيل من جهة ومنافسيها من جهةٍ أخرى. من وجهة نظر إسرائيل، لهذا الأمر تداعيات رئيسية عديدة: أولاً، أصبح البحر الأحمر ساحة أخرى للجبهة الإيرانية، حيث يهدد حلفاء طهران - الحوثيون في اليمن ووكلاؤهم - حرية الملاحة؛ ثانياً، يُضعف ترسيخ النفوذ الروسي والصيني في القرن الأفريقي إمكانية الوصول الاستراتيجي للغرب وقوى الاعتدال في المنطقة؛ ثالثاً، لتجنب الانجرار إلى مواجهة مع العناصر التي تُثير التوتر في السودان، فإن الشاغل الرئيسي لإسرائيل هو استقرار الوضع، وليس بالضرورة التوصل إلى حسم لصالح أحد الأطراف المتشددة. لذا، يُمثل السودان اختباراً لقدرة إسرائيل - مع شركائها الغربيين - على التأثير في الصراعات في نظام دولي متعدد الأقطاب. قد يؤدي التقاعس عن العمل إلى فقدان أحد أهم شرايين إسرائيل البحرية لصالح القوى المعادية.

مصالح إسرائيل الاستراتيجية

الأمن والبحر الأحمر

يُعد البحر الأحمر شريان الحياة البحري لإسرائيل إلى آسيا وشرق إفريقيا. يعتمد ميناء إيلات على حرية الملاحة عبر مضيق باب المندب، وهو طريق بحري مهدد حالياً من قِبل الحوثيين المدعومين من إيران، بالإضافة إلى عدم الاستقرار على الساحل السوداني. تسمح الفوضى في السودان بتهريب الأسلحة إلى حماس وحزب الله عبر سيناء وليبيا، وهي ظاهرة موثقة منذ عقدين. لذلك، فإن استقرار السودان وإبعاد العناصر المعادية عنه، مع التركيز على إيران، يصب في مصلحة إسرائيل المباشرة في منع تجدد "ممر الأسلحة" من طهران إلى غزة.

مواءمة الخط الدبلوماسي والاستراتيجي

في عام 2020، وافقت الحكومة الانتقالية في السودان على الانضمام إلى "اتفاقيات إبراهيم" - وهي خطوة تاريخية بعد عقود من العداء. لو اكتملت هذه

العملية، لكان قد تم إنشاء محور استراتيجي يربط إسرائيل والخليج والقرن الإفريقي. تلاشت هذه الفرصة بعد الانقلاب العسكري عام 2021 واندلاع الحرب، لكن الفكرة لا تزال قائمة: سودان مستقر ومؤيد للغرب من شأنه أن يعزز وجود إسرائيل في البحر الأحمر، وأن يكون شريكاً في مكافحة الإرهاب والأمن البحري.

للتطبيع مع السودان بُعد رمزي أيضاً: كان من الممكن أن تصبح الخرطوم - مدينة "الثلاث لاءات" عام 1967 - رمزاً للمصالحة. إن استئناف هذا المسار، بمجرد استقرار الوضع، من شأنه أن يُشير إلى أن التطبيع مع إسرائيل هو طريق نحو التنمية والاستقرار، وليس مخاطرة سياسية.

التكامل الإقليمي والتنمية

إلى جانب الأمن والدبلوماسية، يمكن لإسرائيل أيضاً أن تُسهم على المستوى العملي. فخبرتها في الزراعة الصحراوية، وإدارة المياه، والصحة العامة، يمكن أن تُساعد في إعادة بناء السودان بعد الحرب. كما أن دمج التقنيات الإسرائيلية مع جهود المساعدة الدولية من شأنه أن يُعيد بناء البنية التحتية ويوفر سبل العيش في هذا البلد المُدمر، وأن يُعزز علاقات إسرائيل مع الدول الأفريقية.

خيارات إسرائيل

لا تستطيع إسرائيل وحدها تحديد مصير السودان، لكنها تستطيع العمل - بشكل مباشر وبالتنسيق مع شركائها الغربيين والإقليميين - للحد من المخاطر ورسم ملامح واقع ما بعد الحرب. أربعة مسارات رئيسية:

التعاون البحري والاستخباراتي

يجب تعميق التنسيق الاستخباراتي مع الولايات المتحدة والشركاء العرب بشأن أمن البحر الأحمر. وتُعدّ مراقبة طرق تهريب الأسلحة من إيران عبر السودان واليمن أمراً أساسياً. ومن شأن تعزيز الوجود البحري في إيلات، إلى جانب تبادل المعلومات الآني، أن يُسهم في ردع التهريب والقرصنة.

المشاركة في الوساطة الإقليمية

يقود الاتحاد الأفريقي والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة مبادرات لوقف إطلاق النار. ويمكن لإسرائيل التعاون مع هؤلاء الوسطاء في هدوء دبلوماسي، مع التأكيد على الخطر الذي يُشكّله استمرار عدم الاستقرار على أمن البحر الأحمر. ويمكن للدبلوماسية الإسرائيلية أن تُكمّل الجهود الغربية بفضل توسيع قنوات الاتصال في أفريقيا والخليج.

الدبلوماسية الإنسانية

على الرغم من تواضع مساهمة إسرائيل الإنسانية، إلا أن قدرتها على تقديم الدعم الطبي واللوجستي السريع مُعترف بها عالمياً. من خلال وكالة المعونة الدولية ومنظمات المجتمع المدني الإسرائيلية المتخصصة في تقديم المساعدات للمناطق المنكوبة، يُمكن قيادة جهود إغاثة تُعزز صورة إسرائيل كقوة بناءة ومسؤولة في المنطقة.

الاستعداد للتطبيع بعد الحرب

مع عودة حكومة مدنية شرعية، يجب على إسرائيل أن تكون مستعدة لاستئناف محادثات التطبيع ودعم إعادة دمج السودان في "اتفاقيات أبراهام". ستساهم هذه الخطوة في إعادة إعمار السودان، وتعزز مكانة إسرائيل الإقليمية، وتفتح آفاقاً اقتصادية جديدة.

التوافق الجيوسياسي مع الغرب

يتوافق موقف إسرائيل تجاه السودان بطبيعة الحال مع موقف الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى. فلجميعها مصلحة مشتركة في الحفاظ على حرية الملاحة، وكبح جماح التوسع الإيراني، ومنع ترسيخ الوجود الروسي والصيني في منطقة البحر

الأحمر. إن قدرات إسـرائيل الاسـتخباراتية والعملياتية، إلى جانب علاقاتها الإقليمية، تجعلها شريكاً حيوياً.

يعزز هذا التعاون مكانة إسـرائيل في المعسـكر الديمقراطي والغربي - دولة متقدمة تكنولوجياً تُسـهم مسـاهمة حقيقية في الاسـتقرار العالمي. في وقتٍ يشـهد فيه الشرق الأوسط انقساماً، ويُثير فيه التدخل الأمريكي جدلاً، يُمكن للتدخل الإسرائيلي في أفريقيا أن يُبرز مسـؤوليتها ودورها كشـريكٍ موثوقٍ في النظام الدولي الليبرالي. ويكتسـب هذا أهميةً خاصـة في سـياق الجهود التي تقودها الولايات المتحدة لتوسـيع نطاق "اتفاقيات إبراهيم" لتشمل المملكة العربية السعودية.

خلاصة

يُشـكل انهيار السـودان كارثةً إنسـانيةً جسـيمةً وتهديداً اسـتراتيجياً طويل الأمد لإسـرائيل. ونظراً لتدهور الأمن في البحر الأحمر وتزايد التدخل الإيراني، لا تتمتع إسـرائيل بامتياز عـدم الاكتراث. ومع ذلك، فإن الانحياز العلني إلى أحد الطرفين المتحاربين قد يُلطخ سمعة إسرائيل بجرائم حربٍ يتورط فيها الطرفان، ويُنفّر القيادة التي ستظهر في المستقبل.

في هذه الحالة، تتطلب مصـلحة إسـرائيل انخراطاً دقيقاً ومتدرجاً يُركز على ثلاث **خطواتٍ مُعاصرة:**

1- منع ترسيخ إيران وتهريب الأسلحة من خلال القدرات الاستخباراتية والتعاون مع الولايات المتحدة والشركاء العرب الرئيسيين.

2- تعزيز أمن البحر الأحمر من خلال تحديد الخطوط الحمراء وتوسـيع التنسـيق العملياتي مع الشركاء الإقليميين.

3- نشـاط دبلوماسـي سـري من خلال وسـاطة متوازنة لا تحسـب إسـرائيل على أيٍّ من المتدخلات البربرية على الأرض.

ستسمح هذه الخطوات المحدودة لإسرائيل بالحفاظ على مجال نفوذ مستقبلي، مع تجنب التشـابكات الأخلاقية والسـياسـية في الوقت نفسـه. عندما تُتاح فرصـة سـياسـية - مع صـعود قيادة مدنية شـرعية - يجب على إسـرائيل أن تكون مسـتعدة للعودة إلى تعزيز التطبيع وتقديم الدعم لإعادة الإعمار الاقتصـادي والاجتماعي في

السـودان. سـيسـمح هذا بتوسـيع "اتفاقيات أبراهام"، مما يضـمن عمقاً اسـتراتيجياً لإسرائيل، ويحوّل البحر الأحمر من محور تهديد دائم إلى ممر للتعاون والتقارب.

لا تستطيع إسرائيل حل الأزمة في السودان بمفردها - وبالتأكيد ليس في الوقت الحالي - لكن التخطيط السليم الآن يضمن تأثيراً حقيقياً بعد الحرب. وهذا شرط أساسي للحفاظ على مصالح إسرائيل الأمنية وقيادة عملية إقليمية لصالح الجميع.

معهد القدس للاستراتيجية والأمن - د عمانوئيل نافون

زيارة البابا ومجيء سفراء الدول المشاركة في مجلس الأمن

عقدت الهيئة الإدارية في تجمع العلماء المسلمين اجتماعها الدوري، وناقشت الأوضاع في لبنان والمنطقة، وصدر عنها البيان التالي:

أنهى البابا لاوون الرابع عشـــر زيارته التاريخية للبنان والتي تجلت فيها معاني الوحدة الوطنية، واكدت أن لبنان هو أكبر من وطن، إنه رسالة إنسانية تؤكد على أهمية العيش المشترك تحت عنوان "المواطنة"، وأن الشعب اللبناني بعيداً عن الانقسام الذي يظهره السياسيون من أجل استغلال العصبيات الطائفية والمذهبية لبقائهم على كراسيهم، باعتبارهم حماةً للطائفة والمذهب.

إننا في تجمع العلماء المسـلمين، إذ نشـكر الحبر الأعظم البابا لاوون الرابع عشـر على زيارته التاريخية للبنان، نطالبه بأن يحمي هذا الوطن من الأطماع الصـهيونية، وأن ينقل معاناة الشعب اللبناني من الاعتداءات الصهيونية اليومية، والقتل اليومي لأبناء الشعب، وتدمير الدور وأماكن العبادة دون تفريق بين كنيسة أو مسجد، ويعمل لفرض الانسحاب الصـهيوني من الأراضـي التي يحتلها في الجنوب اللبناني. وبعد انتهاء الزيارة الرعوية للبابا ابتدأت التهديدات الصهيونية بأنها ستعود للإغارة والقصف، بل وتوسيع الأمر إلى حد الدخول في حرب دونما رادع، سـواء من المواقف الحكومية اللبنانية أو من المواقف

الدولية، ولا نعلم هل أن مجيء سفراء الدول الأعضاء في مجلس الأمن إلى لبنان بعد سوريا نهار الخميس ستكون من أجل توفير حماية لهذا الوطن الذي يتعرض لاعتداءات يومية؟ أم لممارسة ضغط على الحكومة اللبنانية والجيش اللبناني للدخول في نزاع داخلي تحت عنوان "حصرية السلاح"، ولو أدى ذلك للاقتتال بين اللبنانيين؟ إننا نُعبّر عن خوفنا من أن تكون هذه اللجنة قد جاءت إلى لبنان كي تفرض عليه الدخول في مؤامرة التطبيع مع العدو الصهيوني، الذي يعني ضمن معايير وموازين القوة أنه استسلام للعدو الصهيوني يفرض علينا القبول بتنازلات لا يمكن أن يقبل بها القسم الأكبر من الشعب اللبناني، ولا يمكن للمقاومة أن تسمح بها، وستبقى تدافع عن الوطن وعن أرضه بكل ما أوتيت من قوة.

إن تجمع العلماء المسلمين وبعد اجتماع هيئته الإدارية وتدارس الأوضاع في لبنان والمنطقة يعلن ما يلي:

أولاً: يستنكر تجمع العلماء المسلمين استمرار الاعتداءات على لبنان وتصعيدها مباشرة بعد مغادرة البابا لاوون الرابع عشر أرض المطار عبر إلقاء مسيرة معادية غالونات متفجرة على أحد المنازل في حي المطيط في بلدة عيترون، وإلقاء محلقة معادية قنبلة صوتية بالقرب من صيادي الأسماك عند شاطئ الناقورة.

ثانياً: يعتبر تجمع العلماء المسلمين أن رفع العدو الصهيوني لسقف تهديداته بحربٍ وشيكة على لبنان يفرض إعداد خطة بديلة من قبل الدولة اللبنانية لردع العدو عن عدوانه، وذلك بالإعلان عن إيقاف كل الإجراءات التي يعتمدها الجيش اللبناني حتى يتراجع العدو عن تهديداته، وينسحب من الأراضي التي ما زال يحتلها، ويطلق سراح الأسرى ويوقف خرقه للأجواء اللبنانية والمياه الإقليمية.

ثالثاً: يعتبر تجمع العلماء المسلمين أن مجيء سفراء الدول المشاركة في مجلس الأمن إلى لبنان يجب أن يحمل حلاً للاعتداءات الصهيونية، وإذا ما كان الهدف من وراء هذه الزيارة هو ممارسة الضغط على الدولة اللبنانية لنزع سلاح المقاومة، فليعلم أن الزيارة من الآن ستكون فاشلة ولن تحقق أهدافها لأن المقاومة باقية ما دام هناك احتلال وتهديدات صهيونية.

رابعاً: يتوجه تجمع العلماء المسلمين بالتحية للشهيد البطل محمد رسلان أسمر منفذ عملية الطعن البطولية عند مستوطنة "عطريت" الجاثمة على أراضٍ في قرى شمال رام الله، والتي تعتبر رداً طبيعياً على الاعتداءات اليومية والجرائم المتصاعدة للاحتلال الصهيوني سواء في الضفة الغربية أم في غزة.

الخوف من الذهاب إلى أسوأ من اتفاق 17 من أيار

تعليقاً على التطورات السياسية في لبنان والمنطقة، أصدر تجمع العلماء المسلمين البيان التالي:

تواصل الولايات المتحدة الأمريكية الضغط على لبنان لتقديم تنازلات إضافية للعدو الصهيوني، في حين أنها تدافع عنه وتبرر اعتداءاته اليومية على الأراضي اللبنانية، والخرق المستمر للسيادة براً وبحراً وجواً، وللأسف فإن لبنان ينصاع لهذه الضغوط ويقدم التنازلات تلو التنازلات دون أي تقدم لجهة تحصيل الحقوق اللبنانية سواء بتحرير أراضيه أو استعادة الأسرى أو وقف الاعتداءات المستمرة.

في البداية وافقت الحكومة اللبنانية على مقدمة الورقة الأمريكية، ولم يبادر العدو الصهيوني لإعلان موافقته عليها أو التزامه بها، ثم كلفت الحكومة الجيش اللبناني بإعداد خطة لنزع سلاح المقاومة ضمن مشروع حصرية السلاح بيد الدولة، وكانت النتيجة استمرار القصف والعدوان الصهيوني، بل صار هذا العدو يحدد للجيش الأماكن التي يجب عليه تفتيشها، وصولاً للإعلان الأمريكي عبر "المندوبة الصهيونية مورغان أورتاغوس" طلب تفتيش بيوت اللبنانيين، ثم جاء الطلب الأمريكي بأن يكون هناك مفاوض مدني ضمن الوفد اللبناني في لجنة الميكانيزم، وانصاعت الحكومة اللبنانية للطلب، وعينت

السفير سيمون كرم مندوباً لها في هذه اللجنة، وهدف الولايات المتحدة الامريكية الواضح من وراء هذا الطلب الذهاب إلى مفاوضات مباشرة بين لبنان والكيان الصهيوني مقدمة للتطبيع. وقد ابتدأت مظاهر هذا الأمر في إعلان الكيان الصهيوني عن أنه يريد بحث قضايا اقتصادية وحكومية، من خلال ما أعلنه عن أن رئيس وزراء العدو الصهيوني بنيامين نتنياهو قد أوعز لنائب رئيس مجلس الأمن القومي بأن يرسل ممثلاً عنه للاجتماع مع مسؤولين حكوميين واقتصاديين في لبنان كمحاولة أولى لترسيخ أسس العلاقات الاقتصادية والتعاون بين إسرائيل ولبنان. لذلك فإننا نستشرف خطراً كبيراً من أن خطة الولايات المتحدة الأمريكية هي الذهاب إلى أسوأ من اتفاق السابع عشر من أيار السيء الذكر، والذي تسبب في انتفاضة أدت لإسقاطه.

وإعلان فخامة رئيس الجمهورية العماد جوزاف عون أن تعيين سيمون كرم لا يعني تعديل صلاحيات ومهمة الوفد اللبناني، ولا الانتقال إلى مفاوضات مباشرة، ولا فتح مسار السلام والتطبيع مع العدو الصهيوني، ولا يعني التنازل عن الحقوق والسيادة، هو إعلان مهم ولكن السؤال هل سيكون قادراً على الالتزام به؟ وهل سيصمد أمام ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية المدعومة من بعض الداخل؟ إننا في تجمع العلماء المسلمين نعتبر أن فخامة رئيس الجمهورية العماد جوزاف عون بصفته حامياً للدستور، ومطلوب منه الحرص على مصلحة لبنان وعدم إدخال البلد في فتنة بسبب هذا الأمر، ستكون أسوأ من الحرب مع العدو الصهيوني.

إننا في تجمع العلماء المسلمين، وبعد مناقشة الأوضاع المستجدة على الساحتين المحلية والإقليمية نعلن ما يلي:

أولاً: يعلن تجمع العلماء المسلمين أنه ينظر بعين الريبة من توسيع مشاركة لبنان في لجنة الميكانيزم، خصوصاً أنها جاءت دون مقابل صهيوني يؤكد على أنه لا يريد الاستمرار في العدوان، إضافة إلى أن سعي الولايات المتحدة الأمريكية من وراء الضغط لهذا التعديل هو إلغاء مهمة لجنة الإشراف على وقف إطلاق النار وتحويلها إلى لجنة تفاوض مفاوضات مباشرة مع العدو الصهيوني وصولاً إلى التطبيع.

ثانياً: يستنكر تجمع العلماء المسلمين استمرار العدوان الصهيوني على لبنان، والذي كان أخره قصفه لمبانٍ سكنية في بلدات جباع ومحرونة وبرعشيت والمجادل، وقيامه قبل ذلك بإلقاء محلقة صهيونية قنبلة صوتية في بلدة العديسة جنوب لبنان، ويعتبر تجمع العلماء المسلمين أن هذه الاعتداءات يجب الرد عليها بمواقف واضحة من قبل الدولة اللبنانية ولو بتعليق المشاركة في لجنة الميكانيزم حتى تقوم بدورها المطلوب منها.

ثالثاً: يستنكر تجمع العلماء المسلمين استمرار حملة الإبادة الجماعية للعدو الصهيوني على غزة، والتي كان أخرها قتل عدد من المواطنين في مجزرة بشعة في مواصي خان يونس، كانوا في مخيم إيواء قيل لهم أنه آمن ليتبين أنه كان مصيدة لهم لاغتيالهم بمجزرة يندى لها جبين الإنسانية.

رابعاً: يستنكر تجمع العلماء المسلمين قيام قوات الاحتلال الصهيوني بالتوغل في قريتي الصمدانية الشرقية والعجرف بريف القنيطرة، ونصب حواجز والتدقيق في هويات المدنيين دونما رد من سلطة الأمر الواقع في سوريا التي تتعامل مع الانتهاكات الصهيونية وكأنها أمر واقع تريد التعايش معه.

وفد من الحوزة العلمية في قم المقدسة يزور التجمع

استقبل تجمع العلماء المسلمين في مركزه في حارة حريك وفداً من الحوزة العلمية في قم المقدسة، مؤلفاً من سماحة الشيخ رضا الإسكندراني الأمين العام لمجمع أمناء الرسل، وسماحة الشيخ محمد تقي الرباني مدير اللجان العلمية في المجمع، والدكتور حسن عبدي بور مدير قسم الندوات في الحوزة..

كان في استقبال الوفد رئيس الهيئة الإدارية الشيخ الدكتور حسان عبد الله، وأعضاء من مجلس الأمناء والهيئة الادارية.

في البداية شرح سماحة الشيخ رضا الإسكندراني سبب الزيارة للبنان بشكل عام وللتجمع بشكل خاص، بأن هناك نية لدى مجمع أمناء الرسل لإقامة مؤتمر يتناول شخصية الشهيد الأقدس سماحة السيد حسن نصرالله رضوان الله تعالى عليه، على أن يُعقد بشكل متزامن بين لبنان وإيران وربما العراق، وأن المجمع كان قد عقد مؤتمراً منذ عامين بتكريم آية الله السيد مهدي الخرسان في العراق، وأنه في وارد إقامة مؤتمرات فكرية لسبع قامات علمية كبيرة وعلى رأسهم سماحة الشهيد الأقدس السيد حسن نصر

الله قدس سره، وذلك بالتعاون مع شتى الجهات العلمية والثقافية كمجمع التقريب بين المذاهب ومجمع أهل البيت(ع) ومؤسسة الإرشاد للتربية والتعليم. ونأمل أن يشاركنا تجمع العلماء المسلمين في هذا النشاط بأن يحضر في مؤتمر إيران ويقيم مؤتمراً مماثلاً في لبنان، خصوصاً أن سماحة السيد حسن نصر الله بذل جهداً عظيماً في لبنان وأرسى مؤسسات علمية وفكرية، زرنا بعضها، هذه الإنجازات إن لم تؤخذ على محمل الجد وتبين للعالم فستتعرض شخصية السيد حسن نصر الله إلى التشويه والتحريض من خلال تعريفه من قبل أعداء الأمة على أنه شخصية إرهابية، بينما الواقع معاكس تماماً، فهو شخصية إنسانية لها أبعادها سيما في رفع الظلم ونشر العدالة ونصرة المستضعفين.

وقال سماحة الشيخ رضا الإسكندراني إنهم قد ابتدأوا بالمؤتمر ووصلهم ما يقارب 220 مقالة حول شخصية سماحته، وقد حددوا عشرين موضوعاً وعنواناً لإبراز هذه القامة الرائدة، ولكل جانب من شخصيته لجنة يترأسها خبير ليُصار لاحقاً إلى إصدار كتاب يوثّق ما جُمع، على سبيل المثال خدماته وتقديماته التي شهد لها المسيحيون والسنة وغيرهم من الطوائف الأخرى، ونهجه في التقريب بين السنة والشيعة وتعليماته في هذا المجال.

من جهة أخرى، أكد رئيس الهيئة الإدارية في تجمع العلماء المسلمين الشيخ الدكتور حسان عبد الله ترحيبه بالوفد، واعتبر أن الفكرة جليلة وعظيمة، بل هي من

صلب اختصاصنا في تجمع العلماء المسلمين أن نخلّد شخصيات قامت بإنجازات عظيمة وبالتالي هي تصب في إحياء أمر الإسلام عبر إحياء ذكر ونهج قياداته الفكرية والثقافية، وأبدى استعداد التجمع للمساهمة والمساعدة في إنجاح هذا المؤتمر في إيران. أما في لبنان فإقامة المؤتمر مع إبداء استعداد التجمع لإقامته هو مرهون بالتطورات الأمنية، ولكننا سنعمل على الإعداد للمؤتمر وإذا ما توافرت الظروف سنعقده إن شاء الله.

واختتم اللقاء بالاتفاق على استمرار التواصل حتى إنجاح عقد المؤتمرين.

التجمّع وحركة الأمة يوسّعان مبادرتهما الاجتماعية في مساعدة العائلات المتعففة

"يستمر تجمع العلماء المسلمين في لبنان، وحركة الأمة، في تأمين الوجبات الغذائية للأسر المحتاجة والمتعففة، والتي تعاني من أزمات صعبة، خصوصاً في ظل الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها لبنان."

وقد قامت اللجنة الاجتماعية في حركة الأمة بتجهيز وتوزيع الوجبات الغذائية الساخنة وربطات خبز على المنازل في بيروت وضواحيها، وفي مناطق جديدة أضافتها على قوائم التوزيع في العاصمة والضواحي.

ثقافة المبدع.. لغةً وشعراً..

أول الكلام

بقلم: غسان عبد الله

"اللغةُ هي أهم صلات الترابط واستمرارية التواصل بين أفراد الأمة؛ ولا تعني اللغة بهذا المفهوم أنّها رباط مصـلحي للتعبير عن حاجاتنا ومصـالحنا فقط؛ بل هي كياننا ووجودنا.. حاضـرنا العتيد وماضـينا المجيد.."

وإن لكلّ مفردة إيحاءاتٍ تمتد إلى عصورٍ مختلفةٍ، وتشغل حيزاً في عقولنا تعجز عشرات الصفحات عن توضيح مدلولها وتفسير رمزها.. فكلمة (فرس) لا تعني هذا الحيوان الماثل أمام أعيننا بأذنيه وعينيه وذيله وأقدامه الأربعة.. كلاّ وألف كلاّ؛ فهو يشخّص لنا عنفوان الفرسان، وسنابك الخيول، وقرقعة السلاح.. انتصارات الأمة وحروبها، فتوحاتها وانتكاساتها.. وتتراءى لنا من خلاله حارات دمشق وحواريها، وأزقة بغداد وسقّائيها.. قوافل الحجيج، فروسية عنترة، والسيف أصدق أنباءً من الكتب!!.

فحبّنا للغتنا الجميلة، وعشقنا للذاذة شعرنا الرائع ليس بدافع العبث وقتل الفراغ - حالنا كما هو حال الآخرين وحبّهم للغاتهم - بل تمنحنا اللغة عمر الأمة كلّه على امتداد التاريخ، وتاريخ الأمم بكينونة ومض عمرنا الشخصي الضئيل العابر كلمح البصر، وبعبارة أدق: إنَّ اللغة أداة تكثيف الزمان والمكان وما يضمان، فحقّ لها آن نشمخ بها.

ومن اللغة الشعر بشكله ومضمونه؛ لأنّ لا مضمون بدون تشكيل.. ولا تشكيل بدون لغة، ومن هنا يأتي التمايز بين لغة النثر ولغة الشعر، وتذهب دائرة المعارف الإنكليزية في تعريفها للشعر، بأنه الطريقة الأخرى لاستعمال اللغة.

وشرعنا بكتابة الشعر العمودي؛ لأنّه هو الأساس الذي يجب أنْ يُبنى عليه الشعر العربي؛ وإلاّ سيكون الشعر هش البناء، عديم الذوق والطعم، لا يمتُّ بصلةٍ إلى الأصالة والنَّفَس القومي الموروث عن تراث الأمّة ووجدانها، ويفتقد الشاعر لأهم المقومات الأساسية للموهبة الشعرية الصادقة، ويبقى نتاجه مجرد إرهاصات نثرية عقيمة لا تقوم لها قائمة، سيبتلعها الزمن مع عصرها. ولا أعني بطبيعة الحال الشعر الحر الموزون (شعر

التفعيلة) الذي جُدّد على أيدي الروّاد؛ فالشعر ليس بمفرداته ومضمونه ومعناه وصوره فقط؛ بل بموسيقاه وانسيابه وأشجانه وألحانه، تقرأه بنغماته الشجية الصادرة من أعماق قلوبٍ متأججة شاعرة لتطرب إليه، وتتغنى به، فهو ليس مجموعة لحباتٍ من العنب متكتلة متراكمة بترتيبٍ معين، وتنظيمٍ دقيقٍ لتمنحكَ صوراً جميلةً، وتشكيلاتٍ بديعةِ اللمعانِ عميقةٍ على أحسن الأحوال.. وإنما هو تحول نوعي تام من حالٍ إلى حال، ليصبح في صيرورة جديدة.

وللشعر ركنان أساسيان لا بدَّ منهما في كلّ شعر، وهما النظم الجيد ونعني به الشكل والوزن أولاً (ويخضع كما هو معلوم لعلوم النحو والصرف والبلاغة والعروض)، ثم المحتوى الجميل أو المضمون الذي ينفذ إلى أعماق وجدانك، وتنتشي به نفسك دون أن تعرف سره، وتفقه كنهه، فهو الشعاع الغامض المنبعث من النفس الشاعرة.

وتسأل عن الناس، فالناس أجناس، فمنهم مَنْ يتذوق الشعر ولا يستطيع أنْ يدرك الموزون من المختل، وينطبق هذا على أكثر الناس، ومن الأقلية مَنْ تجده يستطيع أن ينظم الشعر بشكلٍ متقنٍ، ولكن لا تحسُّ بشعره نبض الحياة ونشوة الإبداع، وهذا هو الناظم، أمّا الشاعر فهو الذي يجيد النظم إجادة تامة، وتتأجج جذوته ليحترق، ويمنحك سرّ الإبداع، ولذاذة الشعر، تتحسّس بجماله، ولا تدرك أسراره - كما أسلفنا - والشاعر الحساس يرتكز لحظة إبداعه الإلهامية على مظاهر التأثيرات الوراثية التي تسمى بعلم النفس (الهو)، وما يختزنه في وعيه واللاوعي من معلومات وتجارب وعقد، ولك أن تقول ما في عقليه الباطن والظاهر (الأنا العليا)، ومن البديهي أن ثقافة المبدع بكل أبعادها الإيحائية واللغوية والمعرفية والسلوكية والفلسفية والتجريبية - والعلمية إلى حد ما - تؤثر على القصيدة أو النص الأدبي.

ومِنْ الشعراء المتميزين مَنْ يتمرد على التراث الشعري وهؤلاء من عباقرته الذين يمتلكون حقّ التجديد والتحديث، ومن الناس من يرفض القديم بحجة المعاصرة والتقليد، وهؤلاء يلجون عالم الشعر، وهم ليسوا بأهلٍ له، لأنّ ما لا يكون لا يمكن أن يكون! فالقدرة على الصياغة النغمية تكمن مع صيرورتها - وبدرجات مختلفة - الانفعال الشديد، والإحساس المرهف، والخيال الخصب، والإلهام الفطري، وهذه بذور الإبداع متكاملة مندمجة بماهية واحدة، وبدونها لا تنبت النبتة الصالحة لتعطي ثمارها وأكلها.

فذلكة الأقوال نقول: نعم للتشكيل اللغوي المحكم، والتصوير الفني البديع، والتنظيم الواعي الدقيق دور كبير في بناء القصيدة، ولكنه دور مكمل يحتاج إلى قدرات عقلية كبيرة، وثقافة موسوعية عالية ورفيعة (على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ)، ولكن - مرّة أخرى - الاعتماد على العقل وحده دون الغريزة الفنية والقدرة الموروثة أصالة أو طفرة، لتتفاعل هذه كلّها حيوياً لحظة الإبداع وصناعة القصيدة، وبكلمة أدق ولادتها (وخلها حرّة تأتي بما تلدُ)، كما يقول الجواهري. فكلّ عباقرة الشعر يغرفون من بحر وتولد القصائد عندهم ولادة، ثم يجرون بعض التعديلات اللازمة عليها، والقصائد كالشعراء، تولد ولا تصنع، ومهمة الشاعر أن يجعلها تولد وهي أقرب ما يكون إلى السلامة، وإذا كانت القصيدة حية فأنها تكون تواقة مثله إلى التخلص منه وتصرخ ملء صوتها بغية التحرر من ذكرياته الخاصة، تداعياته، رغبته في التعبير عن الذات وكلك تتخلص من حبال سرته وأنابيب التغذية المتعلقة بذاته جميعاً.

يتولى الناقد العمل حيث يتوقف الشاعر، ولا يستطيع النقد العمل دون نوع من علم النفس الأدبي الذي يربط الشاعر بالقصيدة. وقد يكون جزءاً من ذلك العلم دراسة نفسية الشاعر مع أن هذه الدراسة مفيدة بشكل رئيسي في تحليل الاخفاقات في تعبيره. فالعقل وحده دون الغريزة الفنية لا يمكن أن يولّد شاعراً كبيراً، ولا عبقرياً عظيماً في مجال الشعر، بل والفنون، والحديث شجون، ولله في خلقه شؤون!.

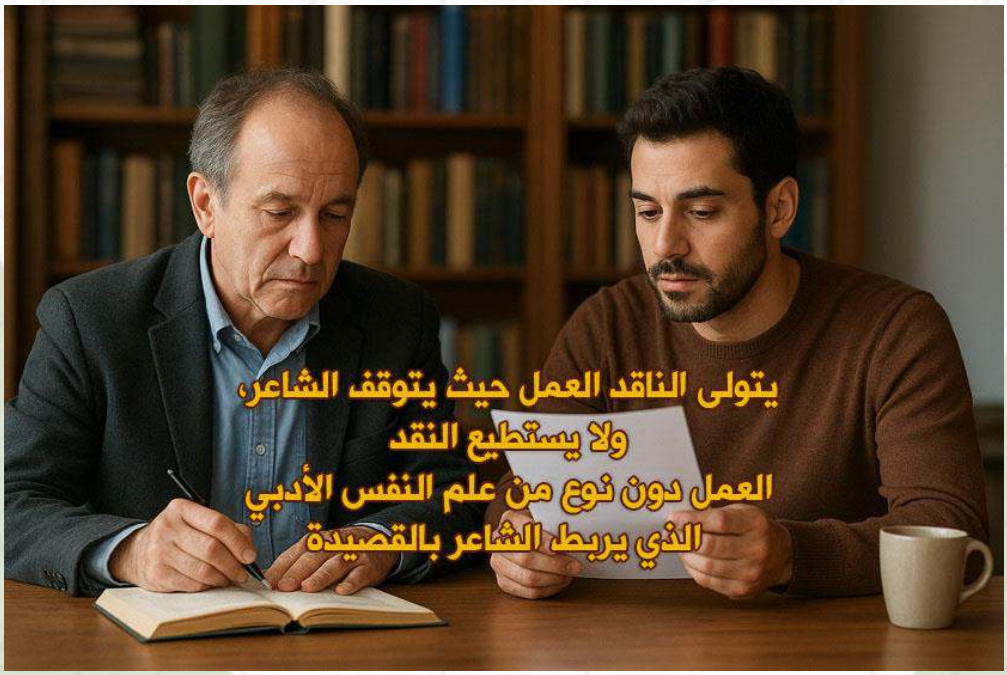

حبر على ورق

بقلم: غسان عبد الله

النفخ في الرماد

يا أيها القلمُ المعبأُ بالنوايا الطيبات.. وبالوداد هذا زمانُ لا يليق بنا.. هذا زمانُ لانهياراتِ المطامح وانتحاراتِ المنى.. هذا زمانُ للسلوك الرخو واللفظِ المخنَّثِ والفساد..

هذا زمان للجرادْ.. فابلع مَدَادَكَ.. لم يعد يُجدي العناد.. كل الذي سطَّرْتَ من شِعْرٍ طوال العمر نفخٌ في الرماد.

وقت كالفجر

يتبدَّى الوردُ فيصيرُ فضاءُ بدايتنا مشعَلْ... تتبدّى الروحُ وتطفّئُ عبءَ الأيامْ وتطيّرُ شوقاً ملتهباً وتطوفُ بهِ فوقَ منازلها مبدعةً للكلماتِ كواكبَها وللريح ملاحَمها والأملِ المتعطّشِ منهلْ.. كيفَ أنرتَ الوقتْ؟ فابتهجَ الغيمْ وانتظرَ الأهلُ بروقاً تنبعُ من ظلماتِ الوطنِ المهمَلْ... كيفَ دعوتَ الماءْ؟ فانساحتْ أنهارُ أولى وانتشرتْ أعراسْ وابتدأ البرعمُ يأخذُنا نحوَ المستقبلْ... أبداً قَدْ تزدهرُ الأرضُ بمن فيها فلنحلُمْ بالطير وقد طلَّتْ بأغانيها ولنركضْ نحوَ زمانٍ من لَهَبٍ ومكانٍ من كُتُبٍ فالقادمُ /رغمَ تهشُّمنا/ أجملْ...!

لا ترحل!!

لا ترحل.. تمهَّلْ.. ما يزالُ على الأفقِ بصيصٌ من ضياء.. ما تزالُ صورُ المودِّعين تنادي "ويحَ الزمان.. ويحَ التاريخ.."، لا ترحل يا أخ الأوردة.. وصديقَ الصباحات.. فأنت حينما أفْرَدْتَ جناحَكَ للهضاب والحقول.. وخلّفْتَ وراءَكَ الحنايا والقلوب.. لم تكن تسْعى وراءَ الليل والأشعار.. والدمى والعطر وطِيْبِ الهوى واللعب والنوم على عبَقِ التراب.. كان في صدْرِكَ عُصْفورُ الحسين يُغرِّدُ.ز وأناشيدُ الدوالي.. في وريد قلْبِكَ تفورُ لتوقِظَ في القدسِ تثراباً زيتوناً وصُبَّارْ.. كان في صدْرِكَ عَبَقُ التُرابْ.

مهرجان

أمسِ قابلْتُهُ عند حافة هذا المكان.. كان يعبرُ حزْنَ المنافي.. ورُدُهاتِ الأقصى.. وسواقي الخليل.. وهو يحُثُّ الخطى ويهشُّ ببندقيته على غنم الشروق.. فاستوْقَفَتْهُ- على البعدِ- زنبقةُ سريعةُ الجريان.. "يا أنت!!" فتبسَّمَ ثم مضى.. لم أدر إن كان للورد أم لدمعي على وجنتيي.. أم للزنابق كلُّ هذا الوجدان؟!!.. دَلَفَ صوبَ جمْهَرَةٍ من جُنْدِ الاحتلال.. غابَ وغابَ.. ثم تصاعدَ أسْودَ الدُّخان.. وبعد لحظة ذهول.. رأيتُهُ يعبُرُ سُرادِقَ الموت صوب أطياف ملائك على القرب من برزَخ الأمان.. ثم تراقصَ المكان.. ومضةُ واحدةُ.. ثم.. تفتَّقَ الوردُ والأقْحوان.. وكان المهرجان.

روائع الشعر العربي

أبو نواس ـ تضرع

يا ربّ إنْ عظُمَتْ ذُنوبي كثرةً ... فلقدْ علمتُ بأنّ عفوكَ أعظمُ
إنْ كان لا يرجوكَ إلا محسنُ ... فبمنْ يلوذُ، ويستجيرُ المجرمُ
أدعوكَ ربّ كما أمرتَ تضرُّعاً ... فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحمُ
مالي إليكَ وسيلةٌ إلا الرَّجا ... وجميلُ عفوكَ.. ثمّ أنّيَ مسلمُ

عبد الله بن المبارك ـ حلاوة الدنيا

هُمُومُك بالعَيشِ مَقْرونَةٌ ... فَما تَقطَعُ العَيشَ إلا بِهَمْ
حَلاَوَةُ دُنَياك مَسمومَةٌ ... فَما تَأكُلُ الشَّهدَ إلاّ بِسَمْ
إذا كنتَ في نعْمةٍ فارعَهَا ... فإنّ المعاصي تزيل النِّعمْ

ابن زيدون ـ سأحب أعدائي

سأحِبُّ أعدائي لأنَّكَ منهمُ ... يا من يُصَحُّ بمقلتيه ويُسقَمُ
أصبحت تسخطني فأمنحك الرضى ... محضاً وتظلمني فلا أتَظَلَّمُ
يا مَنْ تآلفَ ليلُهُ ونهارُهُ ... فالحُسْنُ بينهما مضيءٌ مظلِمُ
قد كان في شكوى الصبابةِ راحةٌ ... لو أنني أشكو إلى من يرحمُ

الشافعي ـ زن من وزنك

زنْ مَنَ وَزَنْكَ بِمَا وَزَنْكَ ... وَمَا وَزَنْكَ بِهِ فَزِنْهُ
مَنْ جَا إلَيكَ فَرُحْ إلَيهِ ... وَمَنْ جَفَاكَ فَصُدَّ عَنهُ
مَنْ ظَنَّ أنَّكَ دُونهُ ... فَاتْرُكْ هَوَاهُ إذَنْ وَهِنْهُ
وَارْجعْ إلَى رَبِّ العِبَادِ ... فَكُلُّ ما يَأتِيكَ مِنهُ

عبرة الكلمات

بقلم: غسان عبد الله

جواد

تُصرُّ على أن تكونَ "بطلاً".. وتُكرِّرُ: "لكلِّ جوادٍ عثرة".. ناسياً أو متناسياً أنكَ لستَ جواداً!!.. يقتادُكَ التعبُ إلى مجاهلِ اليأس.. وتتذوقُ عصفَ الجحيم.. وخسفَ الجنونْ.. ولا تدري أين غداً ستكونْ.. كغصنٍ تدلى من شجرةٍ ميتةٍ.. أو بالخريفِ أشبه ما تكونْ.. ليالٍ تشهقُ بسوادٍ دقيقٍ ذكيٍّ.. يصطادُ كلَّ أشيائِكَ الجميلةِ.. ليُذيبها في محلولِ السكونْ.

هموم

آهٍ منها هذي الهمومْ.. آهٍ من أهاتكَ والهمومْ.. تَقْذِفُ بكَ بَعدَ سنين وتعلنُ: "غيرُ صالحٍ للحياة ".. وتدومْ.. يحوطكَ السوادُ.. لتعرفَ بعدِ فواتِ الهطولِ.. أنكَ حين تقعُ سوف لن تقومْ.. أنَّ الحياةَ.. كائنٌ حيٌّ.. يقتاتُ الموتَ ويفرزُ الأطيافَ.. أفعى بكلِّ مفترقٍ من اليأس.. تبثُّ السمومْ.

الركضُ تحت المطر

الركضُ بمعنى أدق.. كان لعبتي المفضلةَ.. يومها لم نكن نُدْرِكُ ـ أخوتي وأنا ـ أنه سيظهرُ أنواعُ وضروبُ للركضِ ما أنْزَلَ الرحمنُ بها من سلطان.. كلُّ ذلكَ لا يهمُّ المهمُّ أن نركضَ.. بضعَ دوراتٍ في الركنِ الشماليِّ للصدر.. عند صمام النبضِ تماماً.. ستكفلُ لكَ نشوةً محببةً تَسكُنُكَ وتسلِبُ روحَكَ إلى الأبد.. أن تدورَ.. وتدورَ.. لترتَشِفَ رحيقَ المطر.. كان المطرُ وحدَهُ يكفي.. مطرٌ.. مطرٌ.. مطرْ.. قبل أن نَسمَعَ "أنشودةَ المطر".. أن تدورَ.. وتدورَ.. لتداعِبَ بقدميكَ العاريتين.. التراب.. أن تعبَّ رائحةَ الطين التي تعبقُ الأجواء.. أن تدور.. وتدورَ.. رغمَ نوباتِ السعالِ التي تعرفُ مسبقاً أنها ستمتَصُكَّ.. و.. رغم العقاب الذي ينتظركْ.. مطرٌ.. مطرٌ مطرْ.. مفرداتٌ على خدِّ الأرضِ تعطي لروحِكَ جمال الصورْ.

ظلامُ السنين

كانَ حظُّنا سيئاً.. لقد كبُرْنا جميعاً.. ومرَّت السنونْ كأيامْ.. تكبُرُ ويضجُّ الشبابُ في ثيابكَ.. تمرُّ هذه الأيامُ.. وأنتَ تمضغُ أحلامَكَ.. ثم تنامْ.. وتركلُ سَنواتِكَ المقرَّرةَ.. إلى ذاكَ الشيءِ الجميلِ الملون.. إلى ما نسميهِ عبثاً بحرَ أوهامْ.. ذلكَ الشيءُ المقدود في ذاكرتنا.. نسميه عجزاً حلماً.. حين نعجزُ - عادةً - نلجأ إلى الأحلامْ.. يا إلهي.. "الذاكرةُ ليست على ما يرام"!!.. وتخبطُ بكفك على جبهتكَ...آه تذكرتُ.. إنه "المستقبل".. تسيرُ.. تستطعِمُ الغبارَ.. وتشربُ السراب.. وكأنَّ النهارَ لم يورقْ.. وكأنَّ الليلَ لم يثملْ.. وتفكّر.. هكذا.. أقفرتِ الأيامُ المضيئةُ.. أهكذا يكونُ مسكُ الختامْ.. وانسابَ تيارُ السوادِ ليمزِّقَ أخرَ لمحةٍ للطهر في وجهِكَ.. وتظلَّ هذه السككُ تقذف بكَ من قفارٍ إلى فقارْ.. تمدُّ يدك.. لتمسكَ تلكَ السنينَ فتعودُ مملوءةً بالظلام.

البُعدُ الصّوفي والرّوحي للأديان

نحو فهمٍ أعمق يتجاوزُ النّظرة الظّاهريّة العرفانُ كطريقٍ للوعي الفاعل المُتجدِّد

بقلم: نبيل علي صالح / كاتب وباحث سوري

"ما نقرأه ونعاينه من أفكار سلوكية، ونشاهده في تعاملات وتصرفات فردية وجماعية تصدر ع أفراد وجماعات وتيارات عديدة في اجتماعنا الديني الإسلامي، يؤكد لنا استمرار تعمق النظرة الظاهرية للدين لدى كثير من الناس.."

وهذه النظرة الظاهرية السطحية للدين باتت مشكلة حقيقية في العصر الحالي، كونها تتجاهل العمق الروحاني الإنساني المتجذر في فطرة الإنسان، لتكتفي فقط بالقشور الظاهرية المتصلة بسلوكيات ذات بعد مظهري استعراضي لا معنى له، مع إهمال شبه كامل للأخلاق الحياتية العملية، وإسقاط القيم الحقوقية..

هذا كله في الواقع يبرز أهمية التأكيد على البعد العرفاني الإنساني في الأديان.. ويُقدم البعد الصوفي والعرفاني كفرصة للبحث عن الجوهر الأصيل والمعنى الأعمق للحياة من خلال الارتباط المباشر مع الذات والبحث عن الحقائق الإلهية، وهو ما يتجاوز مجرد الالتزام الظاهري بعادات وتقاليد وسلوكيات دينية، وقد لا تكون من الدين في شيء..

نعم يجب التأكيد على أهمية هذا البُعد الصوفي والعرفاني في أصل حقيقة الأديان، وإعادته إلى واجهة المشهد الديني، ليس خلاصاً أو إهمالاً الشعائر أو الالتزامات الدينية الأساسية.. بل لتصويب معاني الإيمان الديني التي تم تحريفها عن مقاصدها الإنسانية، وإعادة توجيه "الطاقة الدينية" - إذا جاز التعبير - نحو معالجة قضايا الوعي والعقل البشري الشاملة، والتركيز على جوهر الأديان، ومضامينها العميقة، في منحها معنى أعمق وغاية أسمى، بدلاً من الاقتصار على مظاهرها الخارجية وطقوسها وتشريعاتها (دون التقليل من شأن أي جانب منها بطبيعة الحال). كما ستعيد الاهتمام إلى "السير والسلوك" الفردي كمسار مركزي، وتستعمل لغة مفاهيمية قابلة للانتشار

عالمياً.. وهذا ما يعمق الإحساس بالوجود والقيم الإنسانية السامية.. مما يجعل الدين حياً في القلب والسلوك وليس مجرد طقوس شكلية مؤقتة ووظيفية آنية.

لقد باتَ عالمنا اليوم - الذي يموج بالصراعات، وتغلب عليه النزعة المادية في هيمنة الاستهلاك والتسليع وفقدان المعنى - بحاجة لمعاني الدين الجوهرية في وعي العرفان كنهر جوفي هادئ، يروي ظمأ الروح الإنسانية الباحثة عن المعنى فيما وراء المظاهر الشكلية..

والاهتمام بالبعد العرفاني الروحي للدين ليس مذهباً فلسفياً معقداً، ولا مجرد طقوس منعزلة عن ساحة الوجود والحياة، بل يمكن القول إنه "جوهر الدين الحي" وقلبه النابض؛ وطريق مباشر لتذوق حلاوة الإيمان والوصول إلى اليقين..

وفي عصرنا هذا - الذي طغت عليه الشكليات والطقوس الجافة والخطابات الظاهرية، وهيمنت على كامل المشهد الديني العملي - تأتي الحاجة الملحة لإعادة اكتشاف هذا البعد الغائب أو المُهمَّش في مواقعنا الاجتماعية والعملية.

ويمكن تعريف العرفان ببساطة على أساس أنه "معرفة القلب" أو "علم الباطن".. فهو ليس مجرد معرفة عقلية أو جمع للمعلومات، بل هو "ذوق" و"كشف" وتحقّق.. وإذا كانت علوم الشريعة تهتم بـ "ما يجب على العبد فعله"، فإن علم العرفان يهتم بـ "حالة القلب أثناء الفعل وبعده". إنه الانزياح من سؤال "هل هذا الفعل حلال أم حرام؟" إلى سؤال أعمق: "ما هي حالة قلبي وأنا أؤدي هذا الفعل؟! وهل يقربني هذا الفعل من الله أم يبعدني عنه؟!".. فالله تعالى هو الغاية والمنتهى.

إن العرفان مسارٌ روحيٌّ يهدف إلى المعرفة المباشرة للحقيقة الإلهية عبر التجربة الذاتية، لا مجرد التلقّي النظري.. ويتم فيه التركيز على الباطن (تزكية النفس وصفاء القلب)، والسير إلى الله (في رحلة وجودية من الحجاب إلى المشاهدة)، والكشف والشهود (كإدراك مباشر للحقائق الامنة وراء المنطق).. إنه الاتصال والمحبة التي هي علاقةُ وجودية قائمة على القرب والمحبة لا الخوف، وهنا تأتي قيمة مقولة أمير المؤمنين الإمام علي(ع) حول: (عبادة الأحرار لا عبادة التجار)..

والعرفان بطبيعة الحال لا يلغي الشريعة (القانون والأحكام)، بل يتجاوزها إلى المقصد الأعمق منها وهو نباء النفس وتقويمها عملياً على معايير الدين العميقة في

السير والسلوك.. وهذا لُباب الدين وروحه، بينما الشريعة هي الهيكل والجسد.. وكما أن الجسد بلا روح جثة هامدة، فإن الدين بلا بُعد عرفاني يتحول إلى طقوس مجردة وجافة تفتقر إلى الحياة.

ولا يقوم العرفان على التنظير الفلسفي فقط، بل هو في الأساس "رحلة عملية" يخوضها الإنسان داخل نفسه. وتدور هذه الرحلة حول عدة محاور أساسية:

1- التزكية والترقية الأخلاقية: الهدف الأساسي هو تطهير النفس من الرذائل (كالحقد - الغرور- الطمع - الجشع)، وتحليتها بالفضائل (كالمحبة والتواضع والزهد). إنها معركة يومية ضد "الأنا" التي تحجب الإنسان عن ربه، والتزاماته تجاهه تعالى.

2- المجاهدة والمراقبة: لا يتم هذا التطهير بسهولة، بل يحتاج إلى مجاهدة دائمة للنفس والشهوات، ومراقبة مستمرة للقلب وأفكاره وخواطره. وهذا ما يقوله العرفاء، من أن النفس كالطفل، إن تهمله شب على حب الرضاع، وإن تفطمه ينفطم.

3- الذكر والفناء: الذكر ليس مجرد ترديد لألفاظ، بل هو استحضار دائم لله في القلب، يؤدي إلى "فناء" العبد عن كل ما سوى الله، و"بقائه" به. فهو عملية تطهير مستمرة للقلب ليكون عبدًا خالصًا لله.

4- المحبة والشوق: حيث يتحول العابد من عبد يؤدي واجباته بخوف من النار أو طمعًا في الجنة، إلى عاشق يتجه إلى محبوبه بشوق ولذة، لأن الطاعة تصبح غذاءً للروح.

العرفان كدواء لأزمة الإنسان المعاصر:

في الواقع، كما قلنا في البداية، البشرية تعاني، وصراعاتها كثيرة، وأزماتها معقدة، وهذا له دلالة كبيرة على عمق وتوسع هذا القلق الوجودي والفراغ الروحي في مجتمعات هذا العالم على اختلاف انتماءاتها وقومياتها وأعراقها، ولا شك بأن العرفان يقدم لنا إجابات عملية واضحة وعميقة في هذا السياق.. فهو:

- يعالج أزمة الهوية: حيث أنه في زمن تذوب فيه الهويات، يذكرك العرفان بأن هويتك الحقيقية هي "روحك" (أي إنسانيتك) التي تنتمي إلى مطلق مقدس، وليست فقط بانتمائك العرقي أو الاجتماعي أو الجهوي أو أو إلخ.. هو رحلة لاكتشاف الذات الحقيقية، وهي ذات إنسانية فطرها الله على الخير والجمال والمحبة.

- ويخفف وطأة المادية: لا ينكر العرفان العالم المادي، ولكنه يعلمنا عدم التعلق به واعتباره غاية ونهاية مآل.. إنه يقدم منهجاً للعيش في العالم دون أن نكون عبداً له ولما فيه من نزعات وشهوات، مما يحررنا من طغيان الاستهلاك والملذات وزخارف الحياة.

- ويعمق التسامح والتعايش: حيث أنه عندما تدرك أن النور الإلهي واحد، والمصدر واحد، حتى وإن اختلفت الطرق، ستنفتح على الآخر المختلف بدافع المحبة الفطرية لا بدافع التسامح الشكلي الظهري. والعارفون يرون الدين منظومة قيم جوهرية (كالمحبة والعدل والرحمة) قبل أن يكون مجموعة من الشعائر والالتزامات الخارجية.

- ويطوّر الوعي: فالرحلة العرفانية هي في جوهرها وأساسها رحلة عملية لتطوير الوعي الإنساني، وإعادة تثميره، من خلال نقله من حالة وموقع الوعي الحسي المحدود إلى حالة ومستوى الوعي الروحي الشامل الذي يرى الوحدة الكامنة وراء كثرة المخلوقات.

وهنا قد يسأل سائل: أليسَ العرفان هروباً من واقع المسؤولية واستقالةً كلية من الحياة؟!.

حقيقة، لطالما لُفّ العرفان بهالةٍ من سوء الفهم.. ولكن يجب القول والتأكيد على أنّ العرفان ليس انعزالاً عن العالم، حيث أن العارف الحقيقي لا يعتزل الناس في صومعة، بل هو من يدخل بينهم بروح إنسانية وقلب سليم غير متعلق.. وهنا نذكر بأن كبار العرفاء كانوا مجاهدين وتجاراً وأئمة ومصلحين اجتماعيين.. كذلك العرفان ليس إلغاءً للعقل، بل يتجاوزه. وهو كمثل الطائر يطير بجناحين، جناح العقل وجناح القلب.. ويستخدم العقل حتى النهاية ثم يسلّم للقلب، حيث يبدأ مجال "المكاشفة".

والعرفان أيضاً ليس حكراً على دين معين أو محدد بذاته، بل يظهر في كل الأديان..

ففي الإسلام: كان التصوف، وهو المسار العرفاني الرئيسي الذي جاء مع شخصيات مثل محيي الدين بن عربي (وحدة الوجود) وجلال الدين الرومي (المحبة الإلهية).. مع التركيز الدائم على التخلق بأخلاق الله والفناء عن النفس والبقاء بالله.

وفي المسيحية: جاء التصوف المسيحي مع شخصيات مثل القديس يوحنا الصليب (الليل المظلم للروح) والقديسة تيريزا الأفيلية، حيث التركيز على الاتحاد بالله من خلال المحبة والتأمل.

وفي اليهودية: كانت القَبالَة، وهي التقليد العرفاني اليهودي الذي يبحث في الأسرار الإلهية وطبيعة الخلق. ويهتم بتفسير البعد الباطني للتوراة.

كما تضمّنت الهندوسية بعضَ المسارات الخاصة بالتأمل والتحرر، وذلك بهدف الوصول إلى وحدة الذات بالروح الكونية.

أما في البوذية: فهناك التأمل سعياً للاستنارة عبر الاختبار المباشر للطبيعة الحقيقية للواقع.

الطاوية: هناك السعي للاتحاد مع "الطاو" (المبدأ الكوني الأعلى).

وهكذا فإن العرفان ليس نظرية فلسفية ندرسها، بل هو "منهج حياة" و"رحلة وجودية".. هو دعوة لكل إنسان - بغض النظر عن انتمائه - للانطلاق في رحلة داخلية لاكتشاف أعماق نفسه والكون من حوله (من عرف نفسه، عرف ربه - العبودية جوهرة: كنهها الربوبية).. إنها دعوة للانتقال من الدين كتراث موروث إلى الدين كتجربة حية، من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الذوقي اليقيني. ولا شك بأن الالتزام بأركان الدين وقيمه القارّة أساس العرفان..

وهذا الزمن - زمن الضجيج والسطوح والقشور والاستهلاك وهيمنة النزعات الأولى في قواها الشهوية والغضبية لدى البشر - يأتي العرفان ليذكرنا بأنَّ الحقائق والجواهر كامنة في البواطن، وأن خلاص الإنسان لا يكون بالهروب إلى الخارج، بل بالغوص إلى أعماق نفسه (أتزْعمُ أنكَ جرمُ صَغير، وفيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ)، حيث يسكن السلام والحب والمعرفة الحقيقية.. إنه طريق العودة إلى "الفطرة" الإنسانية السليمة، التي تتوق دائماً إلى أصلها وفصلها، إلى حيث نبعها ومصدرها النوعي الأول..

إذاً كخلاصة لما تقدم، تكمن أهمية البعد الصوفي والعرفاني في الأديان في:

- تعميق الفهم والإدراك المعنوي: يتجاوز الوعي الديني السطحي ليغوص في تفسيرات أعمق للنصوص والطقوس الدينية، بما في ذلك معانيها الروحانية والرمزية.
- تحقيق السلام الداخلي والمصالحة مع الذات: وهو ما يتيح للعقل والروح السعي الغائي الهادف وراء سبل الهدوء والسكينة الداخلية، وتعميق الاتصال بالله بطريقة أعمق وأكثر شخصية.

- البحث عن المعنى ذاتاً وموضوعاً: يوفّرُ إطاراً فلسفياً وروحياً يُمكّن من فهم المعنى الحقيقي للحياة من خلال التركيز على القيم الروحية والأخلاقية.
- تجاوز المادية والنظرة الشكلية: يساعدُ على مقاومة تأثير النظرة المادية للعالم من خلال التركيز على الأبعاد القيمية الروحية والمعنوية.
- تعزيز الأخلاق والنظرة القيمية للدين: يؤدي إلى سلوك أخلاقي أكثر استدامة، لأنه ينبع من الداخل، لا من مجرد القوانين والقواعد الظاهرية.
- تعزيز الروحانية العملية: يساهم في إحياء الروحانية الأصيلة للإنسان في ظل التركيز المادي والظاهري في الدين، ويُشجع على العيش وفق القيم الروحانية الحقيقية.

هل تحملُ الكلماتُ أفكارَ أصحابِها أم الأفكار تحمِلُهم؟!

هامش ثقافي

بقلم: غسان عبد الله

"ثمة حكمة مفيدة للفيلسوف الصيني القديم "شوانغ تزو" تقول بالحرف: "مهمة الكلمات أن تحمل أفكاراً، وحين يتم استيعاب الفكرة تنسى الكلمات..."."

أقف أمام هذه الحكمة متسائلاً: تُرى كم من الكلمات التي قيلت عبر التاريخ البشري ولم يؤخذ بها، لربما كانت حاضنة لأفكار تستحق أن يؤخذ بها؟!.. كذلك، تُرى كم من الكلمات التي قيلت ولم تكن حاضنةً لأية فكرة ومع هذا أُخِذَ بها لاعتبارات ذاتية على سبيل المثال ولم تعطِ ثمراً طيباً؟.

في التاريخ البشري أكداسُ من الكلمات، لو أنها كانت قابلةً للنَّخل لتبيّن للقارئ أن العديدَ منها كان يجب ألا يُنطق بها لعدم فائدتها، ولتبيّن لهُ كذلك أن العديدَ منها لم تلقَ آذاناً صاغية فذهبت عبثاً أدراج الرياح.

يتّضح لنا ذلك من خلال قراءةِ ما يُعرف بالأقوال المأثورة، وفي مقدِّمة ما يمكنني استعارته في هذا السياق قول الفيلسوف الألماني الشهير غوته: "الرجل العنيد لا يحمل أفكاراً، بل أفكاره هي التي تحمله".

وبعودتنا إلى وقائع القرون والسنوات التي خلت، نلاحظ أن التشبّث بالكلمات، لمجرّد عادة التشبُّث، غالباً ما يؤدي إلى الانحراف عن جادةِ الصواب، وخصوصاً في الحالات التي لا يقيمُ المتحدِّثُ فيها للآخر وزناً، كما هو حالُ هذا الآخر أيضاً في حالة ردِّ الفعل.

ومن هنا يكون التشبُّثُ بالكلماتِ رديفَ العناد في التعامل بين الناس، وخصوصاً الذين لا يحترمون حقوق الآخرين في التعبير عن آرائهم حول قضية ما يجري طرحها على بساط المناقشة لسبب أو لآخر.

إن التشبث بالكلمات بفعل العناد يعني عدم تنحّي المتحدث عن موقفه حتى في حال تبيّن له أنه على خطأ أو كان على خطأ. ولهذه الاعتبارات غالباً ما تولد الشرارة بين المتحاورين وصولاً إلى درجة الاشتعال.

في عالمنا اليوم، كما هو في عالم الأمس القريب أو البعيدِ نسبياً، العديدُ من الأمثلة عن الأفكار التي حَمَلَت أصحابها ولم يكونوا قادرين على حَمْلِها. ومن هنا مصدر الكذب حتى على الذات. وليس صحيحاً أن الكلمات التي تحملُ أفكاراً يمكن أن تندرجَ تحت ما يسمّى بزلّات اللسان وتكون حقاً مقنعةً بأنها كذلك، وخصوصاً عندما تصدرُ عن أناسٍ في مستوياتٍ رفيعةٍ في مجتمعاتهم. وفي المقابل أيضاً ليس صحيحاً القول بأن الكلمات حين تُختارُ بدقةٍ وبعنايةٍ لا تحمل أفكاراً وبالتالي يمكن أن تضلَّ طريقَها إلى سمعِ الآخرين.

إن أقوالاً وكلماتٍ وَرَدَت على ألسنةِ المشاهير من رجال الفكر على مدى التاريخ الطويل، وتركتْ بصمتَها في ذاكرةِ القارئ أو المستمع، ليس عبثاً أن تبقى عالقةً في الذاكرةِ البشريّة إلى قرونٍ وسنواتٍ آتية، لو لم تكن جديرةً بأن تحمل أفكاراً، وإنْ تكن قليلة العدد نسبياً قياساً على عددِ الكلمات التي قيلت في مناسباتٍ استدعتْ خدمةَ المصالح.

في مجالِ خدمةِ المصالح، سواءٌ على مستوى الأفرادِ أو الدُّول، ثمةَ ما لا يُعدُّ ولا يُحصى من الكلماتِ التي عَنَت شيئاً وجاءت ترجمتُها على أرضِ الواقع عكس ما عَنَتْه. ولهذا الاعتبار غالباً ما اصطبغت قرونٌ وسنواتٌ طويلةٌ عاشها الإنسانُ يعاني من تَبِعاتِ الكَذِبِ وتشويهِ الحقائق بصبغةِ الخداع.

وفي عصرنا الحالي، البراهينُ لا تُعدُّ عن معاناةِ بلادنا العربيةِ في الشرق الأوسطِ من تَبِعاتِ الكلماتِ المعسولةِ تلك التي كشَفَتِ الأيامُ أنها لم تكن معسولةً بل كانت كالسُّم في الدَّسم، ذلك لأنها لم تكن تحملُ أفكارَ أصحابِها بل الأفكار كانت تحمِلُهم، ولهذا كان سقوطُهم في التجربة.

آهٍ من قلبي.. أملِكُ قلباً أكبَر من أن أُعلِنَهُ

آخر الكلام

بقلم: غسان عبد الله

"تمرد هذا الجراد كثيراً على حقلنا..

وهذا النُّهيرُ دمٌ في المآقي.. ونزفٌ على ضفتيه

قديمٌ.. جديد..

صغاراً.. سبحنا بأمواجِهِ البيض..

كنا نعود إلى دارنا غارقين من الحب.. والشوق"

كان السلامُ يخطُّ على هدْبنا رسمَهُ فننام..

وكانت شبابيكُنا شرفةً للنخيل المنيفْ

وأبوابُنا مشرعاتٍ لكل حفيفْ

وكنا نعدّ الموائدَ للقادمين.. الضيوفِ.. الألوفْ

وكان النخيلُ.. يُسَاقِطُ فوقَ الأكفّ بكل امتنان..

وكانت جِرارُ عِذابٌ تسابقُ كيلا يجفَّ السؤالُ بِحلْقِ الخيال

وكنا على خيلنا كالبراق إذا هتفتْ في البلاد نساءُ نسارعُ..

كنّا على جارنا آمنين إذا غاب عنّا حفظنا له خيمةً.. أو أقام لدينا رعيناه..

كنا بأرواحنا لا نضنُّ إذا صيحةٌ جلجلتْ في هزيعٍ.. ليوثاً وثبنا نرد الظلامْ

وكنا... فما لي أرى - إن تلفَّتُّ - غيرَ الوجوم يلفّ الوجودَ

وغيرَ الرمادِ يغطّي المدائنْ..

غيرَ.. الدماء تسيل على ضِفَّتيْ بابِنا.. على ضفَّتَيْ دربنا..!!

ومهدُ الطفولةِ مرتبكٌ وسطَ جمر الخرائبِ دامي.. الوجود

يعضُّ على ظلِّ ثغرٍ شهيدْ

أرى إن - تلفَّتُّ - حزناً تصاعدَ مثل الضياءْ

شفيعاً.. شفيفاً.. شغوفَ الدعاءْ

ومثلَ الغريب يطاردُ عبر المدى نزعَهُ في ذهولٍ طويل العزاءْ

تمرّدَ هذا الجرادُ كثيراً على حقْلِنا
أطال المكوثَ على شرفات الهواء
وألقى بأحقاده كلِّها في طريق النخيل
وأبقى الشباكَ بدربِ الظباء
وفجّر نيرانَه في حقول الحياة
وكنا فجرنا فراتَ الينابيع.. كنا ملأنا الفضاءَ حماماً رسولاً
مددنا الطريق حريراً.. وكنا حملنا الرسالاتِ
صنّا الأماناتِ.. سقنا الغلالَ لكل البلادِ
ومن روحنا كم نسجنا قميص العبادِ
فلا بات خلف حمانا جدارُ يئن.. ولا طاب منا هدوء إذا بات جارُ.. كسيراً..
تمرَّدَ ـ قلتُ ـ كثيراً جرادُ الغروب
وبات يطِنُّ على جرحِنا بلَ على محونا.. وظنَّ الحقولَ مراحاً
يقضّي بها نزهةً أو عبوراً جميلاً
فجَرَّ إليه بعوضاً كثيراً إلى نخلنا
وظنتْ وفودُ الجراد.. ستهوي على وردِنا.. أو على نخلنا!!
لعلّ الظنونَ جميعاً تخيبُ وتُقبَرُ هذي الوفود
على كثرةٍ.. ها هنا..
تمرّد هذا الجراد كثيراً على حقلِنا!.. أطالَ المكوثَ على شرفاتِ الهواء
وألقى بأحقادِه كلِّها في طريقِ النخيل
وأبقى الشِّبَاكَ بدربِ الظباء
وفجّر نيرانَه في حقول الحياة
ونحنُ أجَّجنا صلاةَ التسابيح.. وقلنا.. آخرَ كلامٍ لنا..
وحانَ منا انبجاسُ عطرٍ.. وحان لعمرنا وقتُ الصلاةْ..

تمرّدَ هذا الجرادُ كثيراً على حقْلِنا!..

البلاد
مجلة البلاد الإلكترونية
تصدر أسبوعياً عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان